الأطفال والتهجير ألقسري

الآثار النفسية المترتبة على تعرض الأطفال إلى التهجير القسري

د. محمود شمال حسن كلية الآداب /الجامعة المستنصرية

المقدمة:

لقد شهد المجتمع العراقي بعد دخول قوات الاحتلال في عام ٢٠٠٣ ، ظاهرة اجتماعية في غاية الخطورة، ألا وهي : التهجير على اساس الهوية الطائفية.

إذ تفيد الإحصاءات المتعلقة بالمهجرين في الداخل، أن (١.٩) مليون عراقي هجروا من مناطقهم الأصلية إلى مناطق أخرى(١). والحقيقة، أن ظاهرة التهجير القسري بعد عام ٢٠٠٣ كانت مفتعلة، ويعد المحتل الطرف الرئيس في افتعالها. ويشير عدد من شهود العيان في مدينة بغداد، أنهم شاهدوا جنود الاحتلال، وهم يلقون بأوراق التهديد على المنازل السكنية؛ بهدف إجبار الأسر التي تشكل أقلية في المنطقة السكنية على الهجرة منها؛ ليتسنى بعد ذلك للمحتل من تشكيل مناطق طائفية؛ ولعلَ القصد هنا واضح، وهو انشغال الناس بشؤون مناطقهم أكثر من انشغالهم بشؤون الوطن. والمتتبع لظاهرة التهجير التي شهدها المجتمع، يجد أنها شملت المناطق المتجانسة اثنياً والمناطق غير المتجانسة. فالمناطق التي تقطنها أقلية شيعية، أو سنية، أجبر الأفراد فيها على ترك منازلهم والانتقال إلى مناطق تقطنها طائفتهم(٢). ولقد ترتب على عمليات التهجير هذهِ، انقسام المجتمع إلى فئتين متصارعتين، تحمل كل واحدة مشاعر عدائية نحو الأخرى. وقد ازدادت هذهِ المشاعر حدة بمرور الوقت، مما تسبب بأزمة سكنية حادة في عموم مناطق مدينة بغداد.

وهنا نصل إلى مسألة لابد من الإشارة إليها وهي، أن النزوح إلى المناطق المتجانسة اثنياً، دفع بالأسر الفقيرة إلى السكن في مخيمات (خيم) وسط العراء، تفتقر إلى الشروط الصحية، أو السكن في أبنية مهجورة، أو مهدمة، تفتقر هي الأخرى إلى شروط السكن الصحي. ولعلَ الأهم من ذلك، أن هذهِ الأسر، أخذت تعاني من مشكلات اجتماعية متعددة، منها: أن ابتعاد الزوج عن مصادر رزقه،

عَمَدَ إلى تعريض هذهِ الأسر إلى الفقر والحرمان، إلى جانب ذلك، أن المدة الطويلة للتهجير، أضافت عبءً جديداً إلى الأعباء اليومية لهذهِ الأسر. وبالنتيجة النهائية، فإن المكوث في المكان الجديد الذي يفتقر إلى بعض مقتضيات الحياة اليومية، ولّدَ الكثير من الخلافات بين الزوجين، فقد أخذ كل طرف يلقي باللائمة على الآخر. فالزوج، يلقي باللائمة على الزوجة؛ لكونها تختلف عنه طائفياً؛ ولأنها كذلك، فهي الطرف المستهدف بعملية التهجير، في مقابل ذلك، تُلقي الزوجة باللائمة على زوجها؛ لأنه يختلف عنها طائفياً، وهو الطرف المستهدف في عملية التهجير، ولولا اختلافه عنها، لما حدث التهجير. ولقد أدت بعض الخلافات إلى القطيعة والهجر بين الزوجين. والمهم في الامر ان احداث التهجير انعكست سلباً على الاطفال، اذ اخذوا يعانون العديد من المشكلات النفسية، على اننا سنتناول هذه المشكلات بالتفصيل في الآثار النفسية المترتبة على تعرض الاطفال إلى التهجير القسري.

مفهوم التهجير القسري:

نعني بالتهجير القسري، العملية التي يتم بموجبها" إجبار الإنسان، فرداً أو أسرة، على مغادرة بيته في منطقة معينة تحت طائلة التهديد، أو بسبب الخوف [المسوغ] من التعرض للأذى أو الموت، مما يضطره للانتقال إلى منطقة أخرى داخل البلد أو يلجأ إلى بلد آخر"(٣). والمعنى المقصود في هذا التعريف، أن الأفراد يتركون منازلهم في المنطقة السكنية التي يعيشون فيها، بفعل الإكراه، أو التهديد، والتوجه إلى منطقة أخرى، تعد ملاذاً آمناً لهم، دون أن تعرض حياتهم إلى الخطر.

كذلك نعني بالتهجير القسري من وجهة نظر أخرى، العملية التي " لا يملك [فيها] الأشخاص المعنيون أية سلطة في اتخاذ القرار بالهجرة أو البقاء"(٤). وحقيقة الأمر، ان هذا التعريف، لم يحدد على وجه الدقة سبب الانتقال، وأنه ركز على مسألة رئيسة مفادها: أن الأفراد أو الجماعات المهددة بالتهجير لا تمتلك القوة، أو السلطة التي تساعدها على اتخاذ قرار الهجرة، أو البقاء في موطنها الأصلي؛ ولأنها لا تمتلك خياراً آخراً، فهي مجبرة على ترك مكانها والانتقال إلى مكان آخر، يوفر لها الأمن المنشود.

ونعني بالتهجير القسري من وجهة نظر ثالثة، عملية " انتقال عدد من الناس للعيش في مجتمع آخر فراراً من الاضطهاد الذي يتعرضون له"(٥). ولعل الجديد في هذا التعريف، أن القمع والاضطهاد الذي يتعرض له بعض الأفراد ،

يدفعهم إلى الانتقال صوب مجتمع آخر، يتم بموجبه عبور الحدود الدولية بصيغة نزوح جماعي. لذا فان التهجير القسري من وجهة نظر التعريف، هو عملية نزوح جماعي باتجاه مجتمع آخر. بيد أن الأمر مختلف مع التعريفين السابقين، إذ يشيران صراحة، أن التهجير القسري، عملية يتم بموجبها انتقال الأفراد من مكان أكثر خطورة إلى مكان آخر أكثر أمناً، وعادة ما يحدث هذا الانتقال ضمن نطاق المجتمع الواحد.

ونعني بالتهجير القسري من وجهة نظر رابعة، العملية التي تتم بفعل" قوة خارجية تفرض على غير إرادة الأفراد أو الجماعات وتنشط في [وقت] الحرب"(٦).

نُشير في هذا الصدد ، الى أن التعريف الوارد هنا، يكتنفه بعض الغموض، إذ أنه لم يوضح لنا نوع النشاط الذي تفرضه القوة الخارجية على الأفراد، فهل يستهدف نشاط هذه القوة التهجير القسري؟ ام حمل الأفراد على اعتناق معتقدات مخالفة لمعتقداتهم؟ أم إجبارهم على التزام الصمت إزاء ما يحدث داخل المجتمع؟ هذه التساؤلات، لم يعمد التعريف إلى الإجابة عنها، لذا أصبح من المتعذر عليه، أن يحدد مفهوم التهجير القسري.

ويعني التهجير القسري من وجهة نظر خامسة، العملية التي يتم بموجبها" نقل أفراد أو جماعات من أماكن أقامتهم الأصلية إلى أماكن أخرى، أي إجبار السلطات لبعض الأفراد والجماعات على النزوح من منطقة معينة أو إخلائها[هرباً من] (الحروب، أو الزلازل، أو الفياضانات)"(٧).

وهنا يحدد التعريف ، أن الكوارث التي يتعرض لها الأفراد، سواء كانت طبيعية، أو من صنع البشر، كفيلة بإجبارهم على الانتقال إلى أماكن آمنة، على أن التعريف، حدد على وجه الدقة، الجهة المسؤولة عن التهجير، وهي تتمثل بالسلطات الرسمية، ولكنه لم يذكر الجماعات المسلحة، التي تتولى تهجير الأفراد؛ لأسباب اثنية، كما حصل في عمليات التهجير التي شهدها المجتمع العراقي. نقول أن التعريف الذي نحن بصدده ، يرى في التهجير القسري، جانباً إيجابياً، يتمثل بأبعاد الافراد عن الأخطار المحدقة بهم، أو تلك التي يحتمل أن تنال منهم.

يستنتج من هذه التعريفات ما يلي:

١. أن التهجير القسري، عملية يتم بموجبها، أن جماعة تتمتع بقوة مسلحة، ترغم الأفراد على مغادرة أماكنهم الأصلية؛ ليتسنى لها بعد ذلك تحقيق أهدافها.
٢. وأن هؤلاء الأفراد ينتقلون إلى أماكن أخرى توفر لهم الأمن والطمأنينة.

٣. ولعل الملاحظة التي تسترعي الانتباه، أن التهجير القسري، ينشط في أوقات الأزمات، تلك الأوقات التي تضعف فيها سلطة الضبط الاجتماعي.

ولأن الافراد المستهدفين بالتهجير القسري يواجهون قوة مسلحة، يصعب عليهم التصدي لها، أو مواجهتها، فأنهم يكونون أمام خيارين اثنين لا ثالث لهما: فأما البقاء في أماكنهم، وهذا يعني، التعرض إلى التصفية الجسدية في اية لحظة. وأما، القبول بخيار التضحية بأماكنهم الأصلية، والانتقال من ثم إلى أماكن أخرى تجنبهم تهديدات هذه الجماعة، او تلك، وهو خيار تزداد فيه التكاليف، ولكنه يوفر لهم مزيداً من السلامة والآمان.

واستناداً إلى ما تقدم، نعّرف التهجير القسري، هو تلك العملية ، التي تحدث في أثناء الأزمات، إذ تستهدف بالدرجة الأساس، إفراغ المدن، أو المناطق السكنية من بعض ساكنيها، أو استبدالهم بآخرين جدد؛ بهدف إشاعة التجانس الأثني، أو القومي، أو الديني. وان ثمة جماعة مسلحة، تتولى عملية التهجير، استناداً إلى التعارض الحاصل بين معتقدات الطرف الأول (الجماعة المسلحة) ومعتقدات الطرف الثاني (الجماعة المستهدفة)، وأحياناً أن السلطة الرسمية، تتولى عملية التهجير؛ في محاولة منها لتحقيق الاستقرار السياسي.

إن مما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد، أن ثمة تداخلاً بين مصطلح التهجير القسري، ومصطلحي الهجرة والنزوح. وهي في حقيقة الامر تشير إلى معنى الهجرة؛ وبهدف التفريق بين هذه المصطلحات، نشير إلى أن الهجرة تعني على وجه التحديد:" حركة واسعة لمجموعة سكانية داخل موطنها، أو إلى موطن آخر. وقد تكون الهجرة موسمية طلباً للماء والكلأ ، [وقد] تكون دائمية بسبب الكوارث الطبيعية، أو التبدلات الاجتماعية، أو الحروب، أو لتحقيق مستوى معيشي أفضل"(٨). وقد تعرّف أنها: " نوع من الانتقال الجغرافي أو المكاني المتضمن تغيير دائم لمحل الإقامة الاعتيادي بين وحدة جغرافية وأخرى"(٩). أو أنها :" تغيير دائم لمحل الإقامة الاعتيادي بين وحدة إدارية جغرافية وأخرى، ونوع من الانتقال الجغرافي أو المكاني الذي يعكس التغيير في المكان"(١٠).وبهذا المعنى، فان الهجرة، هي عملية انتقال الفرد من مكان إلى خر؛ بقصد تحسين أحواله الاقتصادية، أو الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة، أو البحث عن الأمن؛ ذلك أن المكان الذي يعيش فيه، لم يعد آمناً، وهو الأمر الذي اضطره إلى مغادرته، والاتجاه صوب مكان آخر، أكثر أمناً، على أن قرار الهجرة، اتخذه الفرد بارادته، ولم يكن رغماً عنه. كذلك، فان قرار الهجرة، لم يكن مفاجئاً، وإنما كان مخططاً له قبل مدة من الزمن، وان الاوضاع المحيطة بالفرد،

قد عجلت بالهجرة.

ولعل الاختلاف بين مصطلحي التهجير القسري والهجرة، يكمن في أن المصطلح الأول، يرغم فيه الفرد على مغادرة مكانه، أو موطنه إلى مكان آخر، أو موطن آخر؛ بسبب الترهيب أو التهديد الذي يتعرض له من هذا الطرف، أو ذاك. وقد يرغم الفرد على مغادرة مكانه، حينما تكون هناك مواجهات مسلحة بين جماعتين. كذلك، يرغم الفرد على المغادرة، حينما تسيطر إحدى الجماعات المسلحة على المكان الذي يعيش فيه، ومما يجبره على مغادرة المكان، إن هذه الجماعة، قد تفرض عليه أسلوبها الحياتي، الذي يتعارض كلياً مع أساليبه الحياتية، وهذا سيفضي بطبيعة الحال إلى استثارة نفوره، وهو الأمر الذي يعجل بمغادرته لمكانه.

وإما المصطلح الثاني، وهو الهجرة، فان الفرد يتخذ قرار الانتقال أو المغادرة بإرداته، دون إكراه، أو إجبار، وبذلك، فان الفرد يؤدي دوراً مهماً في التخطيط للهجرة، سواء على مستوى الجهة التي سيهاجر إليها، أو المدة الزمنية التي تستغرقها الهجرة.

وفيما يتعلق بالنزوح، تستعرض إحدى الدراسات، عدداً من التعريفات التي توضح معنى النزوح ، منها:" الإخراج الإجباري لشخص ما من منزله وفي الغالب يكون نتيجة لنزاع مسلح أو كوارث طبيعية"، ويشير النزوح، أن ثمة "[أفراداً] أو جماعات من الناس أجبروا على الفرار من ديارهم هرباً من طائلة صراع مسلح، أو حالات تفشي العنف، أو انتهاكات لحقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو من صنع البشر"، ويعني من وجهة النظر هذه:" إخراج شخص أو مجموعة من الأشخاص من مكان سكنهم لأغراض سياسية أو طائفية أو عرقية[دون] وجه حق"(١١).

ومن وجهة نظر أخرى، يشير النزوح أنه:" حالة الاضطرار إلى الهرب من أماكن الإقامة المعتادة داخل بلد الجنسية دون عبور اية حدود دولية نتيجة حالات العنف أو النزاع المسلح أو انتهاك حقوق الإنسان"(١٢).

ويشير النزوح من وجهة نظر ثالثة، أن ثمة أفراداً " أجبروا أو اضطروا للهرب أو ترك ديارهم، أو أماكن إقامتهم المعتادة، [لأسباب ترجع إلى نزاع] مسلح، حالات عنف عام، أو انتهاكات لحقوق الإنسان، وكوارث طبيعية أو من صنع الإنسان، أو لتفادي آثار هذه الاوضاع ولم يعبروا الحدود الدولية المعروفة للدولة"(١٣).

من ذلك يتضح، أن ثمة تشابهاً في المعنى بين مصطلحي النزوح والتهجير

القسري، ومن الصعوبة بمكان، التفريق بينهما. لذا نقول، أن النزوح يشير إلى معنى التهجير القسري، وانه يعد مصطلحاً مرادفاً له، إذ تجمعهما خصائص مشتركة، منها:

١. ان المصطلحين يركزان على الإكراه، أو القسر الذي يدفع الافراد إلى مغادرة أماكن إقامتهم المعتادة: أما بالترهيب أو التهديد، وأما بتحول أماكن الإقامة إلى ساحة صراع مسلح، وأما بسيطرة إحدى الجماعات المسلحة على أماكن الإقامة، مما يدفع هؤلاء الأفراد إلى مغادرتها، والتوجه إلى أخرى طلباً للأمن والطمأنينة.
٢. كذلك يشير مضمون هذين المصطلحين، أن الأفراد الذين يغادرون أماكنهم، يتجهون إلى أماكن أخرى أكثر أمناً، دون أن يعبروا الحدود الدولية.
٣. ويركز المضمون لهذين المصطلحين أيضاً، أن الأفراد يعودون إلى أماكنهم الأصلية، عند زوال الآثار المترتبة على الأوضاع التي أجبرتهم على المغادرة أو النزوح.

الخلفية النظرية للتهجير ألقسري

الآثار النفسية المترتبة على تعرض الاطفال الى التهجير القسري:

أن عمليات التهجير القسري التي تعرضت لها الأسر، سبّب لها مشكلات متعددة، وكان تأثيرها أشد على الأطفال. إذ تشير الدلائل، أن ثمة عدداً من المشكلات، أخذ يعاني منها الأطفال، جراء العيش في بيئة نشأت اثر التهجير القسري، وفي هذا السياق، نشير إلى أهمها:

١- أن تهجير الأفراد من البيئة التي ترعرعوا فيها، ادى إلى إضعاف اتزانهم الانفعالي، وقد انعكس سلباً على أساليبهم في التعامل مع الأوضاع المحيطة بهم. نشير في هذا السياق، إلى أن مجلة (التايم) ، كما ورد على لسان إبراهيم ١٩٨٧ سجلت بعض الانطباعات الصحفية عن المقاتلين الفلسطينيين الذين تم إجلاءهم عن لبنان، أثر الاجتياح الإسرائيلي لمدينة بيروت عام ١٩٨٢ ذلك الاجتياح الذي تسبب عن وقوع مذابح بين صفوف المدنيين.

تشير مجلة (التايم) في هذا الصدد، أنه بعد توطين هؤلاء المقاتلين في إحدى الدول العربية، لوحظ عليهم مظاهر سلوكية من قبيل: الإحباط والغضب

المكتوم والملل. ولقد بلغ مستوى الغضب لدى بعض الأفراد إلى حد إشعال النيران في المخيمات، تلك المخيمات التي ستكون مصدر حماية لهم من البرد القارص عندما يقبل الشتاء(١٤). وهذا يُشير بطبيعة الحال إلى حالة الاحتجاج على الأوضاع التي جعلتهم يفقدون مصادر قوتهم وعلاقاتهم الاجتماعية. لذا، نقول ، أن هؤلاء أصبحوا غير مكترثين بمصادر أمنهم، بعد أن اقتلعوا قسراً من بيئتهم الأصلية، على أن الأطفال، سيعمدون إلى محاكاة الأوضاع النفسية لأسرهم، مما يعني، أنهم سيعانون من الاغتراب عن البيئة الجديدة، مدة من الزمن، وأن استمرت معاناة أسرهم، فإن اغترابهم سيزداد حدة، وربما يتعرض بعضهم إلى أحد أنواع الاضطرابات النفسية.

٢- لوحظ على النساء والأطفال الذين يعيشون في مخيمات وسط العراء، أثر تهجيرهم من بيئتهم الأصلية، أنهم يعيشون حياة أقرب إلى الحيوانات، كما تصف مجلة (التايم)، ولوحظ أيضاً على هؤلاء، التحسس المفرط تجاه الأصوات الصادرة، وكأنها تذكرهم بالجرارات الإسرائيلية(١٥). فلقد فقدت الحياة معناها في هذا المجتمع المهجّر، إذ لم تعد الحياة ذات قيمة، أو أهمية، ومما يجعلها أقل أهمية، انتشار المقابر التي تعلوها أعلام سوداء، بالقرب من مخيماتهم، وتناثر الزهور الذابلة وقطع الملابس وبروز بعض الأحذية على جثث مدفونة تحت الانقاض(١٦). وحقيقة الأمر، إن الكارثة التي تعرض لها هؤلاء، ستعمد إلى إضفاء طابع سوداوي على الحياة، وأن هذا الطابع سيزداد بمرور الوقت، إن استمرت الآثار المترتبة على الكارثة.

٣- أن عمليات التهجير القسري التي شهدها المجتمع العراقي في المرحلة الثانية، أدت إلى استهداف بعض أرباب الأسر؛ وذلك بالقتل المتعمد، أو الاغتيال. والحقيقة أن استهداف هؤلاء، يعني بين ما يعني، أن الأسر فقدت معيلها ، أو المدبر لشؤونها، وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله، أن هذهِ الأسر تعرضت إلى عدد من المشكلات، وهنا نركز على الأطفال الذكور على وجه التحديد. إذ أن غياب الآباء عن أطفالهم، ولاسيما اولئك الصغار منهم، سيفضي إلى إضعاف ذكورتهم، أو بمعنى آخر، سيجد هؤلاء صعوبة في تكوين مفهوم واضح عن الذات الذكر ية، انطلاقاً من الرأي القائل: ان وجود الأب في الأسرة، يُعد عاملاً مهماً في اكتساب الطفل خصائص الشخصية المطابقة لجنسه؛ وذلك يرجع أساساً إلى أن اكتساب هذهِ الخصائص ستمكنه من التوافق مع المحيط الاجتماعي . وفي هذا السياق، نثير سؤالين، هما: متى يدرك الطفل وجود الأب؟ وكيف يسهم الأب في عملية التنميط الجنسي للطفل الذكر؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين، نوجزها على النحو الآتي:

إن الطفل يبدأ بإدراك الأب في السنة الثانية تحديداً(١٧)؛ والسبب يعود إلى أن الطفل في هذهِ السنة، يكون قد أتقن العمليات الإدراكية، تلك العمليات التي تمكنه من الانتباه إلى الأب ومعرفة ملامح وجهه، ومن ثم تمييزه عن الآخرين، ثم بعد ذلك، يبدأ الطفل بإدراك طبيعة العلاقة مع الأب، فإن كانت تستند إلى المودة والعطف والاهتمام، ستفضي إلى التصاق الطفل بأبيه والى الاهتمام به والسؤال عنه في حال غيابه . وبالمحصلة النهائية، أن هذهِ العلاقة، ستشجع الطفل على تقليد الاستجابات الصادرة عن الأب. بيد ان علاقة الطفل بالأب، ستأخذ بالضعف، في حال افتقارها إلى المودة والحب، وهذا سيجعل الطفل، غير مكترث بأبيه، مما يترتب على ذلك، عدم اكتراث الطفل بالاستجابات الصادرة عنه، وقد يضعف عدم الاكتراث هذا، عملية التنميط الجنسي، تلك العملية التي تقتضي بين ما تقتضي، نمذجة الطفل للسلوك الصادر عن الأب، ولاسيما السلوك الدال على الذكورة.

هذا فيما يخص الإجابة عن السؤال الأول، أما بصدد الإجابة عن السؤال الثاني، نقول أن وجود الأب سيساعد الطفل الذكر على استدخال الأدوار الذكرية المطلوبة، أما غيابه عن عالمه الاجتماعي في وقت مبكر من حياته، فقد يختلط الأمر عليه ومن ثم لا يعرف الدور الجنسي المطلوب تأديته. لذا، فإن اكتساب الخصائص الدالة على الجنس، أصبح ضرورة تقتضيها الحياة النفسية السوية. والحقيقة، أن الأب في بعض الأحيان لا ينبه الطفل إلى الصفات المرغوبة وغير المرغوبة، وإنما يحصل أن الطفل يلاحظ أبيه وينتبه إليه، عندما تصدر عنه تصرفات معينة، تلك التصرفات تسترعي انتباهه وتجعله يستدخل النمط السلوكي المقبول، هذهِ العملية يطلق عليها بالتوحد، وهي في الواقع عملية لا شعورية، يكتسب الطفل من خلالها خصائص الشخص المماثل له في الجنس؛ ولكي تتم عملية التوحد، يشترط أن يكون الأب على الدوام أمام ناظري الطفل. وينصح المربون والباحثون في ميدان علم النفس التكويني، ضرورة وجود الأب في السنوات الخمس الأولى؛ وذلك يعود إلى أن هذهِ المرحلة كما هو معروف، تبدأ فيها شخصية الطفل بالتشكل، ولما كان هذا الوقت، هو الوقت الذي تتشكل فيه الشخصية، ينبغي أن يكون الأب حاضراً وطبقاً لقولنا هذا، أن غياب الأب عن الطفل مدة طويلة، ولاسيما في السنوات الأولى، قد يضعف التوحد، ولا يبق له اثراً يذكر، مما يعني اضطراب في الخصائص الدالة على ذكورته، وقد يترتب على ذلك، جملة من المشكلات النفسية، منها:

أ- صعوبة تكوين مفهوم واضح عن الذات الذكرية:

تُشير الدراسات في هذا الصدد، أن الدرجات التي حصل عليها الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم في السنوات الأولى على مقياس الذكورة، كانت أقل من أقرانهم الذين يعيشون مع آبائهم[١٨].

والواقع، ان غياب الأب عن حياة الطفل، لم يقتصر أثره على معرفة مقتضيات دوره الجنسي فحسب، وإنما أثر الغياب على صعوبة تكوين مدركات عن الذكورة نفسها، وتثبيتاً لهذا الرأي، طلبت إحدى الدراسات التي أجريت في منطقة البحر الكاريبي من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين (٨-١٥) سنة، أن يرسموا صوراً بشرية؛ وذلك لاختبار الفرضية القائلة: أن الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم في عمر مبكر، يجدون صعوبة في تكوين مفهوم واضح عن الذات الذكرية. وبعد تحليل البيانات، تبين أن الأطفال الذكور الذين غاب عنهم آباؤهم رسموا صوراً للذكور، هي في حقيقة الأمر أقصر من تلك الصور التي رسمتها الإناث[١٩]. وهذا يدل على حقيقة، أن الأطفال لم يدركوا بعد، الخصائص الذكرية وما يجب أن تتصف به الذكورة؛ والسبب واضح، أن قلة الخبرة في الخصائص الذكرية وغياب النموذج المثال الذي يجب أن يقتدي به الطفل أو على نحو أصح، غياب النموذج الذي يعمد الطفل إلى نمذجة سلوكه الدال على الذكورة، كان السبب في عدم استدخال الخصائص الذكرية. لذا، فإن الخصائص الذكرية غدت لديهم مشوبة بنوع من النقص على الاقل في مظاهرها السلوكية.

ب- الميل إلى النمط الأنثوي:

يُلاحظ على الطفل الذكر الذي تتولى الأم تنشئته بوصفها بديلاً عن الأب الغائب، انشغاله باهتمامات أنثوية، تلك الاهتمامات التي تكون من قبيل: الشعور بالألفة عند مجالسة النساء، والاهتمام بتفصيلاتهن، وكذلك الاهتمام بالأحاديث الدائرة بينهن. حتى لقد وجد، أن الأطفال الذين لديهم اهتمامات من هذا النوع، كانوا يفضلون ارتداء ملابس الإناث واقتناء مستلزماتهن، وعند التقدم في العمر وجدت لديهم الرغبة في أن يكونوا إناثاً[٢٠]، بدليل أن الدراسات التي أجريت في هذا الصدد، كشفت بين ما كشفت، أن الذكور الذين حرموا من الأب في عمر (٤) سنوات أو أقل، كانت درجاتهم على اختبار الذكورة، أقرب إلى النمط الأنثوي منه إلى النمط الذكري[٢١]. وقد ترتب على بروز النمط الأنثوي في سلوك هؤلاء الأطفال، انخفاض في مستوى عدوانيتهم مقارنة بأقرانهم. كما ترتب على بروز

النمط الأنثوي هذا، ضعف الإقبال على ألعاب المنافسة، تلك الألعاب التي تستدعي الاشتباك البدني[٢٢] مع الآخر.

من ذلك يتضح أن الأم التي تكون بديلاً عن الأب في تنشئة الطفل الذكر، ستنمي لديه، ولو بطريقة غير مقصودة، نمطاً إنثوياً، وهذا سيجعله بطبيعة الحال، يعاني من سوء التوافق؛ وذلك لعدم قدرته على أن يكون واحداً من أبناء جنسه. لذا، فإن وجود الأب- وهنا نركز على الأب الفاعل والمؤثر- سيفضي إلى جذب انتباه الطفل إلى الميول الذكرية وحثهُ على نمذجتها بمرور الوقت.

ج- الميل إلى الجنسية المثلية:

تُشير البيانات الميدانية المستمدة من الدراسات، أن الذكور الذين حُرموا من الأب في وقت مبكر، كانوا يتمتعون بميول جنسية مثلية[٢٣]. وعند التحري عن الأسباب التي جعلت هؤلاء يميلون إلى أفراد من جنس مماثل، بدلاً من الميل إلى أفراد من الجنس الآخر، تبين أن غياب الأب، دفع بهؤلاء الأطفال إلى ملازمة أمهاتهم والالتصاق بهنَّ[٢٤]، فضلاً عن الشعور بالأمن بوجودهن. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك، أن هؤلاء الأطفال، قد اتخذوا من أمهاتهم نماذج مثالية يشكلون على غرارها استجاباتهم إزاء العالم المحيط بهم. وتثبيتاً للرأي الذي ذهبنا إليه، من أن توحد الذكور مع أمهاتهم، قد يفضي إلى بروز الجنسية المثلية في سلوكهم، توصلت إحدى الدراسات التي كان أحد أهدافها، الكشف عن الفروق في التوحد، بين الذكور الذين يتمتعون بجنسية غيرية وأقرانهم الذين يتمتعون بجنسية مثلية، أن الذكور من ذوي الجنسية المثلية كشفوا عن توحد قوي مع أمهاتهم وتوحد ضعيف مع آبائهم[٢٥]، مقارنة بأقرانهم، الذين كشفوا عن توحد قوي مع آبائهم وضعف واضح في التوحد مع أمهاتهم. وتلك إشارة واضحة على ضعف شعور هؤلاء الأطفال بذكورتهم، وبذلك، فإن غياب الأب عن الأطفال في وقت مبكر، سيفضي إلى إضعاف ذكورتهم، وهذا سيؤدي بدوره في وقت لاحق إلى الميل إلى أولئك الأفراد الذين يتماثلون معهم في الجنس.

د- تنمية الاتكالية:

تُشير الدراسات في هذا الصدد، أن الأطفال الذين حرموا من الأب مبكراً، كانوا أميل إلى الاتكالية[٢٦] من أقرانهم الذين يعيشون مع آبائهم؛ وهذا يعود بطبيعة الحال، إلى عدد من الأسباب، ولعلَ من أبرزها: أساليب الرعاية الزائدة التي حظي

بها هؤلاء قد أدت إلى تنمية الاتكالية، وقد أصبحت بمرور الوقت، واحدة من الخصائص الشخصية التي يتصفون بها.

كذلك، فإن بديل الأب المشرف على رعاية هؤلاء، لم يعمد إلى تزويدهم بالخبرات اللازمة لمواجهة مقتضيات الحياة، فضلاً عن غياب التدريب على قواعد التعامل مع المواقف الحياتية المختلفة، والحقيقة أن هذهِ الأسباب هي التي جعلت هؤلاء الأطفال أكثر اتكالية على الغير في تدبير شؤونهم الحياتية.

٤- لقد ترتب على عمليات التهجير القسري التي تعرضت لها بعض الأسر، أنها أصبحت فقيرة من الناحية الاقتصادية؛ وهذا يرجع بطبيعة الحال، إلى عدد من الأسباب، منها: أن مفردات البطاقة التموينية، انقطعت عن بعض الأسر المهجرة. إذ تشير البيانات، أن (٣٢%) من الأسر المهجرة، لم تحصل على مفردات البطاقة التموينية[٢٧]، وفي بعض المحافظات العراقية، بلغت نسبة الأسر التي لم تحصل على مفردات البطاقة التموينية أكثر من (٧٠%)[٢٨]؛ والسبب يعود إلى أن هذهِ الأسر، لم يعد بإمكانها مراجعة مناطقها الأصلية؛ خشية تعرضها إلى التصفية الجسدية، وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله، تعرض هذهِ الاسر إلى الفقر. وهناك سبب آخر للفقر الذي تعرضت له الأسر المهجرة، وهو أن النسبة الكبيرة منها فقدت وحداتها السكنية[٢٩]، دون تعويض، أو الحصول على بدل إيجار مناسب، إلى جانب ذلك أنها فقدت الكثير من ممتلكاتها، وهو الأمر الذي جعل الكثير من هذهِ الأسر يتعرض إلى الفقر والحرمان.

وهناك سبب ثالث لفقر هذهِ الأسر، أن بعض أفرادها يحترفون مهناً حرة في مناطقهم الأصلية، وعندما حدث التهجير القسري، فقدوا هذهِ المهن، ولم يعد باستطاعتهم العودة إليها.

كذلك هناك سبب رابع لفقر الأسر المهجرة، وهو أن بعض أفرادها تعرض إلى التصفية الجسدية، وبذلك فقدت معيلها، أو المدبر لشؤونها.

والرأي الذي نريد أن نصل إليه، أن الفقر الذي تعرضت له الأسر المهجرة، انعكس سلباً على الأطفال، إذ عمدت إلى تشغيلهم في أعمال هامشية، كتنظيف السيارات، أو بيع المناديل الورقية، أو نقل البضائع والسلع في الأسواق التجارية، وغير ذلك، على أن الأعمال التي احترفوها، لم تكن تتناسب مع أعمارهم[٣٠]، من حيث الجهد المبذول والوقت الذي يصرف فيها.

وما يهمنا هنا، أن انتظام هؤلاء الأطفال مبكراً في سوق العمل، قد أفضى إلى اكتسابهم قواعد التحايل كما يفعل أرباب العمل، وربما يتطور التحايل لدى هؤلاء إلى سلوك يلحق الأذى بالآخرين؛ وذلك لتحقيق المزيد من المنافع في عالم لا تحكمه القواعد الخلقية. كما أن انتظام هؤلاء الأطفال مبكراً في سوق العمل، دفعهم إلى المتاجرة بالمواد الممنوعة، كالعمل مع مروجي المخدرات والأقراص المضغوطة التي تشتمل على أفلام إباحية. والمهم في الأمر، أن استمرار المتاجرة بهذهِ المواد، سيكون بداية لانحرافهم عن السوية الاجتماعية، وعند ذاك، سنجد أنفسنا إزاء مشكلة في غاية الخطورة، ألا وهي: صعوبة السيطرة على سلوكهم فيما بعد.

٥- تُشير التقارير المتعلقة بالتهجير، فضلاً عن الدراسات الميدانية، أن الكثير من أطفال الأسر المهجرة، تركوا الدراسة[٣١]، ولم يعد بإمكانهم العودة إليها. وأن ثمة أسباباً تحول دون مواصلة دراستهم، منها: أن المناطق التي استقروا فيها، لم تكن فيها مدرسة قريبة منهم، وأن توفرت، فهي تبعد عن منطقة سكناهم مسافة بعيدة، وهو الأمر الذي دفع بهؤلاء الأطفال إلى صرف انتباههم عن الدراسة. كما ان تدهور المستوى المعيشي لأسر الأطفال، منعها من السماح لأطفالها في الذهاب إلى المدرسة؛ والسبب يعود إلى أن الانتظام في الدراسة، يقتضي الانفاق على مستلزمات الدراسة، وهو أمر يتعارض مع أوضاعها المعيشية البالغة السوء، لذا تعد الدراسة بالنسبة للأسر المهجرة، مسألة غير مهمة. كذلك، فإن الصعوبات الحياتية التي أخذ يعاني منها الأبوان، جراء التهجير القسري، استثارت المزيد من الخلافات بينهما. وقد انعكست خلافاتهما هذهِ على الأطفال، وبالنتيجة النهائية، فإن هذهِ الخلافات أدت إلى إشاعة أجواءً رافضة للدراسة.

ولعلَ دخول الأطفال إلى سوق العمل، يُعد من الأسباب المهمة التي شجعتهم على التسرب من الدراسة؛ ذلك أن الأطفال في الأعمار الصغيرة، يصعب عليهم الجمع بين مقتضيات الدراسة والعمل في آن معاً؛ لأن الدراسة بحاجة إلى المتابعة، والمتابعة لا تتحقق هنا، إلا بتوفر الوقت الكافي وهو شرط غير متاح للأطفال العاملين. كذلك، فإن الأطفال الذين يواصلون دراستهم، ينبغي أن يتمتعوا بالراحة البدنية؛ لكي يتمكنوا من متابعة واجباتهم المدرسية. وبطبيعة الحال، فإن المتابعة هذهِ، تقتضي بين ما تقتضي، صفاءً ذهنياً؛ لكي يساعد الأطفال على التأمل والتفكير، ومن ثم فهم المواد الدراسية والتمكن منها. بيد أن واقع الحال، يشير إلى أن الساعات الطويلة التي يصرفها الأطفال في العمل، تعرضهم إلى الإعياء

والإرهاق، مما يؤثر ذلك على مسيرتهم الدراسية. إذ يأخذ حضورهم المدرسي بالتذبذب وعدم الانتظام، ناهيك عن انخفاض انجازهم الدراسي، وهو الأمر الذي يدفعهم إلى الانقطاع عن الدراسة، ومن ثم تركها.

٦- يلاحظ على أطفال الأسر المهجرة، أن ثمة زيادة ملحوظة في مستوى عدائيتهم، مقارنة باقرانهم من غير المهجرين. وقد عبروا عن عدائيتهم هذهِ، بمشاعر الكراهية والنفور من الآخر المختلف طائفياً، الذي تسبب بتهجيرهم. بيد أن مشاعر الكراهية هذهِ، سرعان ما تحولت إلى عدوان صريح، حينما أصبحت الأوضاع المحيطة بهم مواتية، إذ حمل الكثير منهم السلاح لمهاجمة الآخر، أو أنضم إلى الجماعات المسلحة، التي تقاتل الآخر؛ من أجل إنهاء وجوده في المنطقة التي يعيشون فيها. والمهم في الأمر، أن هؤلاء الأطفال الذين حملوا السلاح، أصبحوا أكثر عدوانية، وهو الأمر الذي استثار مخاوف أسرهم. وحقيقة الأمر، أن هذهِ المخاوف، لها ما يسوغها، إذ أن حمل السلاح، سيفضي إلى صعوبة التحكم بسلوكهم، ومما يخشى منه، أن الخلافات المرتقبة لهؤلاء الأطفال مع ذويهم، قد تنتهي بالمشاجرة، وربما تفضي المشاجرة إلى التلويح بالسلاح، وقد يتطور الأمر إلى إطلاق العيارات النارية؛ في محاولة منهم لفرض هيمنتهم على ذويهم، ومن ثم تأكيد ذواتهم. كما نشير هنا، أن حمل السلاح، سيدفع بهم إلى استثارة بعض المشكلات مع الآخرين، وقد تنتهي إلى نتائج لا تُحمد عقباها. وهنا تكمن الخطورة! إذ أن مشاركة هؤلاء الأطفال في العمليات المسلحة التي تخوضها الجماعات المسلحة، سيجعلهم يدركون العالم المحيط بهم، أنه يقيم وزناً كبيراً للقوة، ولا يحترم الضعفاء فيه، وأنهم سيصلون في نهاية المطاف إلى نتيجة مفادها: أن الضعفاء، سيجدون صعوبة بالغة بمواصلة مسيرتهم الحياتية في هذا العالم.

٧- لعلَ من ابرز المشكلات النفسية المترتبة على عمليات التهجير القسري، تعرض الأطفال إلى الصدمة النفسية، وقبل الحديث عن التفاصيل المتعلقة بالصدمة النفسية، لابد من تعريفها أولاً، ثم الإحاطة بشروطها ثانياً؛ ليتسنى لنا بعد ذلك الحديث عن الآثار النفسية المترتبة على التعرض إلى الصدمة النفسية. بادئ ذي بدء، نعني بالصدمة النفسية، أنها:" أحداث مفاجئة وغير متوقعة، تكون خارج حدود الخبرة الإنسانية الاعتيادية، تتهدد أو تدمر صحة الفرد أو حياته، يستجيب لها بالخوف الشديد، العجز أو الرعب"[٣٢]. وبذلك، فإن الصدمة النفسية من وجهة نظر التعريف، ينبغي أن تكون أحداث مفاجئة وغير متوقعة، أي غير مألوفة للفرد،

على أن تنطوي هذهِ الأحداث على خطورة تهدد حياته، وعندما يدركها، أنها مهددة لحياته، فمن الطبيعي أن تصدر عنه استجابات دالة على الخوف الشديد أو الرعب.

وهناك تعريف آخر للصدمة النفسية، يرى فيها، أنها عبارة عن" حالة من الضغط النفسي ذي المصدر الخارجي تتجاوز قدرة الإنسان على التحمل والعودة إلى حالة التوازن الدائم بعدها"[٣٣].والحقيقة، أن التعريف الوارد هنا، حدد الصدمة النفسية، على أساس أنها ضغط نفسي، والضغط النفسي عبارة عن حدث، أو مجموعة أحداث يتعرض لها الفرد، وعادة ما تكون هذهِ الأحداث، خارجية المصدر، وأن شدتها تفوق قدرة الفرد على التحمل، وأنها لا تمكنه من العودة إلى حالة التوازن.

وتعّرف الصدمة النفسية من وجهة نظر ثالثة، أنها :" ذلك الحدث الذي يخرج عن نطاق الخبرة[الاعتيادية] للبشر ويفضي إلى انحطاط نفسي ملحوظ لأي فرد يقع ضحية له"[٣٤]. والتعريف الوارد في هذا الصدد لم يخرج عن سياق التعريفين السابقين، فهو يرى أن الصدمة النفسية، عبارة عن حدث، ولكنه يختلف عن الأحداث الحياتية الأخرى في درجة التأثير، إذ أن تأثيره يخرج عن نطاق الخبرة الإنسانية الاعتيادية، ويدخل في نطاق الخبرة غير الاعتيادية، لذا ، فإن تعرض الفرد إلى الحدث المعني، سيؤدي ولا ريب إلى تدهور وضعه النفسي.

يستنتج من التعريفات التي ورد ذكرها، ما يلي:

١- أن الصدمة النفسية، هي حدث أو مجموعة من الأحداث المفاجئة، وغير المتوقعة.
٢- وعادة ما يكون هذا الحدث (الأحداث) مهدداً لحياة الفرد، إلى حد يفوق قدرته على التحمل.
٣- وتتمثل الاستجابة لهذا الحدث (الأحداث)، بالخوف الشديد، أو الرعب.

واستناداً إلى ذلك، نستطيع أن نعرّف الصدمة النفسية، أنها عبارة عن حدث، أو مجموعة من الأحداث المفاجئة، أو غير المألوفة، يتعرض لها الفرد، إذ تنطوي على تهديد لحياته، تصل إلى مستوى يفوق قدرته على التحمل، وأن الاستجابة لها، تتخذ في العادة صيغة الخوف الشديد أو الرعب؛ وقد يفضي ذلك، إلى شعوره بالعجز، وعند ذاك يصبح يائساً من الخلاص.

لابد من الإشارة في هذا السياق، أن الصدمة النفسية، تعتمد على شرطين اثنين: فأما الشرط الأول، فهو أن الفرد قد عانى من الحدث، أو وقع أمامه، وأما

الشرط الثاني، فان الفرد يستجيب إلى الحدث المعني بالخوف الشديد، أو الرعب[٣٥]. وبموجب هذين الشرطين، نستطيع أن نميز الأطفال الذين تعرضوا إلى الصدمة النفسية عن غيرهم. وما يهمنا هنا، أن الأطفال الذين تعرضوا إلى الصدمة النفسية جراء عمليات التهجير القسري، أخذوا يعانون من الآثار النفسية المترتبة عليها، وفي هذا الصدد نشير إلى أهمها:

أ- كانت عمليات التهجير القسري، شديدة الوطأة على الأطفال من الناحية النفسية، وقد سبّبت لبعضهم اضطرابات نفسية، وأن ثمة مؤشرات دالة عليها، منها: التعب

والإرهاق وفقدان الشهية واضطرابات النوم[٣٦] وآلام الرأس وأوجاع البطن وآلام المفاصل والنحول والإسهال والحزن والاكتئاب والانطواء والانعزال عن الآخرين والنفور منهم، يصاحب ذلك، أحلام مزعجة، أو كوابيس ليلية يتعرضون لها، إذ تعكس هذهِ الكوابيس، طبيعة الكارثة التي تعرضوا لها[٣٧]. فقد يصعب عليهم نسيان ما حدث، وتبعاً لذلك، ستظل صور عمليات التهجير ملازمة لهم مدة من الزمن، قد تطول أو تقصر، وهذا يعتمد على طبيعة الإسناد الاجتماعي الذي يقدم اليهم، فكلما كان فعالاً، أفضى إلى التخفيف من معاناتهم، والعكس صحيح، إن كان الإسناد الاجتماعي ضعيفاً، فقد يفضي إلى زيادة معاناتهم.

ب- ومن الآثار النفسية المترتبة على الصدمة، تعرض الأطفال إلى تشتت الانتباه؛ ويتمثل ذلك بصعوبة تركيزهم على المنبه الهدف، وهو الأمر الذي استثار تذمر المعلمين منهم؛ لكونهم لا يركزون في الدرس، وأن فهمهم للمواد الدراسية بات ضعيفاً، كما يشير هؤلاء المعلمون، وأن السبب يرجع من وجهة نظرهم، إلى أن هؤلاء الأطفال غير مكترثين بالدراسة.

والحقيقة التي لابد من ذكرها هنا، أن عمليات التهجير التي تعرض لها الأطفال، عمدت إلى إحباطهم، ومن ثم استثارت حقدهم على الأوضاع المحيطة بهم، التي أدت بالمحصلة النهائية إلى تشتت أسرهم وضياع ممتلكاتهم . ولقد أفضى ذلك كله، إلى تذمرهم من الدراسة، وعدم اكتراثهم بها؛ لأنها أصبحت من وجهة نظرهم غير مجدية. لذا، فإن تشتت الانتباه، سيظل ملازماً لهم، ولن يستطيعوا التخلص منه، طالما أن المعاناة الناجمة عن التهجير، لما تزل بعد، مستمرة.

ج- لقد استثارت عمليات التهجير القسري كراهية الأطفال ونفورهم من الشخصيات الإنسانية التي يرونها في البيئة الاجتماعية. وهذا يؤشر حقيقة مهمة، ألا وهي: أن عمليات التهجير، جعلت الأطفال يكونون اتجاهات سلبية نحو الشخصيات الإنسانية، وليس أدل على ذلك، سوى أحاديثهم التي تنعت هذهِ الشخصيات بنعوت سلبية.

نُشير في هذا الصدد، أن إحدى الدراسات التي أجريت على أطفال المرحلة الابتدائية في مجتمع شهد عمليات تهجير قسري على نطاق واسع، طلبت من أطفاله، أن يرسموا موضوعات تعد مفضلة بالنسبة لهم. وبعد تحليل الرسوم، تبين أن (٧٥%) من الأطفال الذكور رسموا الشخصيات الإنسانية بطريقة سلبية، و (٥٣%) من الإناث رسمنَّ هذهِ الشخصيات بطريقة سلبية أيضاً[٣٨]. وبالرغم من التفاوت في السلبية الحادثة في رسوم الأطفال من كلا الجنسين، فإن ذلك يُشير، أن الخبرات المؤلمة التي تكونت بفعل صدمة التهجير، غيرت اتجاهات الأطفال من الإيجاب إلى السلب، على أن الذكور ، كانوا أكثر تأثراً بصدمة التهجير من الإناث. وقد انعكست هذهِ الصدمة في رسومهم، بدليل أن الذكور رسموا العمليات المسلحة، في حين أن الإناث رسمنَّ البيئة الاجتماعية[٣٩]. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن اتجاهات الأطفال نحو المجتمع والعلاقات الاجتماعية، قد تغيرت على نحو سلبي، مما يستدعي إعداد البرامج النفسية والاجتماعية التي من شأنها، أن تُحدث تعديلاً في اتجاهاتهم هذهِ، بحيث تتحول من السلب إلى الإيجاب، وذلك هو المطلوب.

د- أن من البين الواضح، أن عمليات التهجير القسري التي وقعت في البيئة التي يعيش فيها الأطفال، عمدت إلى تشويه مدركاتهم، أو بمعنى آخر، عمدت إلى تشويه مخططاتهم الإدراكية، وذلك يعني، أنه لم يعد بمقدورهم تفسير التنبيهات الحادثة في عالمهم الاجتماعي؛ وذلك يرجع بطبيعة الحال ، إلى أن عمليات التهجير التي شهدها الأطفال، قد سيطرت على مخططاتهم الإدراكية. وفي هذا السياق، تُشير إحدى الدراسات التي أُجريت على مجتمع مهجر، أن الخبرات المؤلمة الناجمة عن التهجير، قد سيطرت على مخططات أطفاله؛ ولبيان آثار التهجير على المخططات الإدراكية للأطفال، طلبت الدراسة من الأطفال الفلسطينيين الذين خبروا آلام الحرب في عام ١٩٦٧ أن يرسموا صوراً شتى، لا على التعيين. وبعد تحليل الرسوم، تبين أن فكرة الحرب وما تضمنته من معاناة وآلام، قد سيطرت عل رسومهم. فلقد عكست هذهِ الرسوم، حالة الهلع الذي تعرض

له الأطفال، وقد تمثلت حالة الهلع هذهِ، باللجوء إلى المغارات؛ خشية من قصف الطائرات، أو مشاهدة الناس الذين دفنوا تحت الأنقاض، أو الصور البشعة لأولئك الذين ماتوا في العراء، وقد برزت أحشاؤهم[٤٠]. كما عكست رسوم الأطفال، مناظر الحرب، التي تمثلت بالمسير ضمن قوافل المهاجرين وعطش الصغار وصور الحرائق للسيارات التي احترقت عل جانبي الطريق جراء القصف[٤١]. كذلك عكست هذهِ الرسوم، الفكرة ونقيضها من قبيل: ورقة مورقة وطائرة تحوم حولها، أو خيمة منصوبة في العراء وطائرة تعلوها، أو سيارة لنقل الركاب وطائرة تحوم حولها[٤٢].

إن حالة العجز التي أخذ يعاني منها الأطفال جراء الكارثة التي تعرضوا لها، استثارت لديهم فكرة التطلع إلى (المنقذ) الذي يخلصهم مما يعانون. وبالفعل، فإن رسوم الأطفال عكست هذهِ الفكرة؛ فلقد بات المنقذ لدى الأطفال هو (الفدائي)، إذ أصبح سوبرمان أطفال المخيم[٤٣]. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الكارثة التي تعرض لها الأطفال جراء الحرب، وما ترتب عليها من تهجير وترك الديار، قد أحدثت بما لا يدع مجالاً للشك، تغييراً في مخططاتهم الإدراكية، وهذا معناه، أن التشاؤم والسخرية والحيرة وفقدان المعنى، قد سيطرت على مخططاتهم هذهِ؛ وبهدف تعديلها، ينبغي أولاً تغيير بيئة الأطفال؛ وذلك بإزالة مخلفات الكارثة؛ ليتسنى بعد ذلك ترتيب مخططات هؤلاء الأطفال من جديد.

النظرية المفسرة للآثار النفسية المترتبة على التهجير القسري:

نُشير في هذا السياق، أن نظرية العجز المتعلم، تعد النظرية المناسبة لتفسير المشكلات النفسية الناجمة عن العيش في البيئات السكنية المختلفة؛ ولعلَ السبب الذي جعلنا نتبنى هذهِ النظرية دون سواها من النظريات النفسية، أن طبيعة الحياة الحادثة في البيئة السكنية، تجعل الأفراد، ومنهم الأطفال، يعتقدون بصعوبة التحكم في البيئة المحيطة بهم. والحقيقة، إن إشاعة هذهِ المعتقدات بين صفوف الأطفال، سيفضي إلى اليأس، والاعتقاد أن هذا النمط من الحياة، أصبح قدرهم، وليس بإمكانهم تغييره.

ومن هنا، تبرز أهمية هذه النظرية في تفسير المشكلات النفسية التي يتعرض لها الأطفال الذين يعيشون في البيئات المشيدة المختلفة؛ وحتى نلم بتفاصيل هذه النظرية، نجد لزاماً، أن نعرضها على النحو الآتي:

بادئ ذي بدء، نعني بالعجز المتعلم Learned Helplessness تلك العملية التي تفضي إلى تعليم الفرد أو الأفراد المستهدفين، حالة القبول بالأمر الواقع، أو الاستسلام للمصير الذي أعد لهم. والحقيقة، أن أصحاب هذا الاتجاه، أجروا عدداً من الدراسات التجريبية للتثبت من صحة منطلقاته النظرية، التي تشير بين ما تشير، إلى أن وضع الفرد في محنة أو ضائقه أو موقف عصيب، يصعب عليه إيجاد الحلول المناسبة للتخلص منه، كفيل بتعليمه اليأس والعجز[٤٤]، وهذا معناه، أن الفرد الذي أريد له أن يتعلم الاستسلام للإجراءات التي رتبت له، سيجد نفسه مضطراً إلى قبول المصير الذي أعد له، على أن اكتساب اليأس والعجز يقتضي، تكرار الحدث بين الآونة والأخرى، فضلاً عن المدة الطويلة التي يستغرقها، وهذا سيفضي إلى ترسيخ الاعتقاد لدى الأفراد، بصعوبة التحكم في البيئة المحيطة بهم، مما يترتب على ذلك، خفض دافعيتهم[٤٥]، في مواصلة الحياة والتمتع بمباهجها. كذلك، وجد ، أن صعوبة التحكم في البيئة المحيطة بالأفراد، ستخفض من قدرتهم على تعلم الطرق التي يتم من خلالها السيطرة على الأحداث، ولاسيما تلك الأحداث التي بالإمكان السيطرة عليها[٤٦].

وتلك المسألة، تعد جوهر النظرية، بمعنى، أن الأحداث الضاغطة، لن تمنح الأفراد الفرصة الكافية، لتعلم الطرق التي يتم من خلالها السيطرة على هذه الأحداث أو التعامل معها؛ ولكي يثبت سيليكمان، فرضيته القائلة: أن الفرد الذي يتعرض إلى موقف ضاغط، لا يستطيع التخلص منه، كفيل بتعليمه اليأس والعجز.

أجرى سلسلة من التجارب التي أثبت فيها صحة الفرضية التي انطلق منها، ففي إحدى التجارب التي أجراها، وضع مجموعة من الكلاب منفردة في صناديق مغلقة، وهي أما أن تكون مكهربة أو تصدر منها أصواتاً شديدة، لا تمكنها من التحكم بها أو إسكاتها. ولقد تبين أن الكلاب، بعد مدة تبدأ بالتجول داخل الصناديق، ثم يبدأ عليها حالة من الانزعاج، ثم بعد ذلك تبدأ بالنباح. بيد أن هذه الكلاب، تتوقف عن الحركة بعد مدة وجيزة، وقد لوحظ، أن وضع الكلاب في موقف يائس يصعب عليها التخلص منه، ينتهي بها الحال إلى التعرض إلى حالة نفسية قريبة من الاكتئاب، بدليل أنها أخذت تعاني من الخمول والسلبية وفقدان الشهية والهزال، إلى جانب معاناتها من اضطرابات النوم[٤٧].

كذلك أجرى سيليكمان ومايز، تجربة أخرى على الكلاب، وقد توصلا فيها إلى إثبات صحة الفرضية التي تستند إليها نظرية العجز المتعلم. ففي هذهِ التجربة،

وضعت الكلاب داخل الصناديق، ثم قسمت إلى ثلاث مجموعات، استناداً إلى المعالجة التجريبية. فأما المجموعة الأولى، فقد تعرضت إلى صدمة كهربائية لا تستطيع السيطرة عليها، أو الهرب منها، وأما المجموعة الثانية، فقد تعرضت إلى صدمة كهربائية مماثلة، وقد أتيحت لها فرصة الهرب منها. وأخيراً، فان المجموعة الثالثة، كانت مجموعة ضابطة، لم تتعرض إلى المعالجة التجريبية المتمثلة بالصدمة الكهربائية. وقد تبين من النتائج، أن المجموعة الأولى، أظهرت استسلاماً للإجراءات التجريبية، وأنها لم تظهر أية محاولة للهروب، عندما أتيحت لها فرصة التخلص من الصدمة الكهربائية؛ وذلك يرجع من وجهة نظر الباحثين، إلى اعتقاد شاع بين صفوف الكلاب: أن أية محاولة للتخلص من الصدمة، ستنتهي بالفشل، وهذا يعني صراحة، أن الكلاب أذعنت للإجراءات المعدة لها، ومن ثم أخذت تعتقد، انه لم يعد بإمكانها إحداث تغيير في الموقف المحيط بها[٤٨].

وفي تجربة أخرى، تكاد تكون مماثلة في إجراءاتها التجريبية، للتجربة الأولى، وضع سيليكمان وماير، كلاباً في غرفة مقسمة إلى قسمين اثنين، وقد وضع حاجز بينهما، يسهل اجتيازه. فأما القسم الأول، فهو مكهرب وفيه يتم تعريض الكلاب إلى صدمة كهربائية، وأما القسم الثاني، فهو غير مكهرب، ثم بعد ذلك قسمت الكلاب إلى مجموعتين. إذ وضعت المجموعة الأولى في القسم الأول، في حين وضعت المجموعة الثانية في القسم الثاني.

والجدير بالإشارة، أن القسم الأول من الغرفة التجريبية لا يتيح للكلاب، فرصة الهرب من الصدمة الكهربائية، في حين أن القسم الثاني، يتيح للكلاب، فرصة الهرب؛ لكي تتجنب الصدمة الكهربائية.

ولقد تبين من النتائج، أن المجموعة الأولى من الكلاب، تعلمت الاستسلام للموقف التجريبي وعدم إبداء أية محاولة للهرب منه. في المقابل، أن المجموعة الثانية، أظهرت نمطاً من التعلم، يتمثل بسرعة الهرب من الصدمات الكهربائية، وأن الإجراءات المتبعة، لم تعمد إلى تعليمها الاستسلام للموقف التجريبي، ومن ثم الشعور بالعجز إزاءه[٤٩].

وهناك تجارب أجريت على البشر، الغاية منها، التثبت من صحة الفرضية التي استندت إليها نظرية العجز المتعلم، وكانت إجراءاتها التجريبية مماثلة لتلك التي أجريت على الحيوانات. ففي إحدى التجارب، قسمت عينة الأفراد إلى مجموعتين: تجريبية وضابطة. وكانت المجموعة التجريبية، قد شخصت أنها

تعاني من الكآبة، في حين أن المجموعة الضابطة، لا تعاني منها بموجب التشخيص النفسي، ثم بعد ذلك قدمت إلى المجموعتين، عدداً من المشكلات التي يصعب حلها. وتبين من النتائج، أن المجموعة التجريبية (المجموعة التي تعاني من الكآبة) أظهرت انخفاضاً ملحوظاً في حل المشكلات[٥٠]، مقارنة بالمجموعة الضابطة. وهذا يثبت صراحة، إن إصابة الفرد بالكآبة، ستجعله عاجزاً عن توجيه حياته بطريقة معينة، ومن ثم السيطرة عليها، طبقاً لمنظوره الشخصي، وهو الأمر الذي يدفعه إلى أن يتوقع إحداثاً سيئة في المستقبل. إذ يصعب عليه التحكم في مجرياتها[٥١].

ومن التجارب البشرية التي أثبتت صحة فرضية النظرية، تلك التي عرضت الأفراد إلى ضوضاء عالية، يصعب التحكم في مستواها، ثم بعد ذلك، قدحت لهم مواقف اختباريه، تشتمل على عدد من المشكلات، وقد طلبت منهم، تقديم الحلول المناسبة لها. ولقد كشفت نتائج هذه التجارب، أن الأفراد لم يتمكنوا من إيجاد الحلول المطلوبة للمشكلات التي قدمت لهم[٥٢].

والى جانب التجارب التي أجريت على الحيوانات والبشر، أن ثمة دلائل مستمدة من واقع الحياة اليومية، أثبتت بشكل صريح، صحة فرضية النظرية، ومن هذهِ الدلائل، أن كبار السن، الذين يدخلون المستشفى، يظهرون صعوبة في التحكم بحياتهم، والدليل على ذلك، أن أغلب نشاطاتهم داخل المستشفى، تتم بالاعتماد على الآخرين، وأنهم من دون هؤلاء، لا يستطيعون تدبير أمورهم الشخصية[٥٣]. كما وجِد، إن السجناء ولاسيما أولئك الذين صدرت بحقهم أحكاماً قضائية طويلة المدة، سيجدون أنفسهم مذعنين للإجراءات المعدة داخل السجون، على أن تقادم الزمن، سيزيدهم تكيفاً مع الأجواء السائدة. وإذا علمِنا، أن إجراءات السجن، تنطوي على حراسة مشددة، تمنع السجناء من تنفيذ محاولاتهم الهروبية، أدركنا حالة اليأس والاستسلام الشائعة بين صفوفهم. ومما يزيد من حالة اليأس والاستسلام هذهِ، توارد الأخبار عن حالات الهروب التي حصلت في السجن، إذ أعيدت إليه مرة أخرى، وكان مصيرها أنها وضعت في زنزانة انفرادية، وهو الأمر الذي زاد من معاناتها وآلامها، أو أنهم شاهدوا بأم أعينهم أولئك الذين هربوا من السجن، وقد لقوا حتفهم، اثر إطلاق العيارات النارية عليهم. وبذلك، فإن بقاء السجناء داخل زنزاناتهم، مدة زمنية، سيرغمهم على قبول فكرة، استحالة الهروب، فضلاً عن تعريض حياتهم إلى الخطر. بيد أن حال هؤلاء سيكون مختلفاً تماماً، في حال إخبارهم عن قرب الإفراج عنهم، على أن تحديد موعد الإفراج، سيزيدهم سعادة

وابتهاجاً، ابتداءً من لحظة الإخبار، وحتى مجيء الموعد المقرر. وقد يتعرض هؤلاء إلى صدمة نفسية شديدة، حينما يكتشفون، ان إدارة السجن، كانت تخدعهم؛ وذلك لحثهم على التعاون معها، عبر تقديم معلومات صريحة عن أوضاعهم الشخصية. وفي هذا الصدد، يشير سيليكمان إلى الحالة النفسية السيئة التي تعرض لها أسير أمريكي، في أثناء الحرب الأمريكية- الفيتنامية، اثر إخباره من جانب الفيتناميين، أنهم سيطلقون سراحه في حال تعاونه معهم، وقد حددوا له موعداً لإطلاق السراح. والمهم في الأمر، أن إخباره عن قرب إطلاق سراحه، أدى إلى تحسين حالته النفسية. إذ بدأت عليه مظاهر السعادة والارتياح، ولكنه تعرض إلى صدمة نفسية شديدة، حينما اكتشف ان إطلاق سراحه، كان خُدعةٍ من إدارة السجن؛ وذلك لضمان تعاونه معها، وهو الأمر الذي أفضى إلى تدهور حالته النفسية. وقد كشف هذا التدهور عن نفسه، بمظاهر سلوكية عديدة منها: الحزن والاكتئاب[٥٤]، وإهمال المظهر الشخصي، والابتعاد عن الآخرين، ولعلَ الأخطر من ذلك، أنه عزف عن تناول الطعام، كما عزف عن النوم، مما أدى والحال هذهِ، إلى تعرضه إلى الإعياء والإرهاق الشديد، ثم مات بعد مدة قصيرة[٥٥]. وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن إخفاق الفرد في التخلص من مشاعر العجز واليأس، سيفضي إلى تدهور حالته النفسية، وربما يؤدي هذا التدهور إلى ما لا يحمد عقباه.

كذلك، وِجدَ إن بقاء الأطفال داخل المنزل، وعدم السماح لهم بالخروج، سيفضي إلى تعليمهم الإذعان للإجراءات المتخذة من جانب الأبوين، وسيكونون بمرور الوقت، أكثر تكيفاً مع الأوضاع المحيطة بهم. ولعلَ الأهم هنا، أن القيود المفروضة على الأطفال، ستجعلهم يشعرون بصعوبة تجاوزها، أو التخلص منها، ومن ثمَ الشعور باليأس جراء الصعوبات التي يواجهونها في تجاوز عقبات من هذا النوع ، وهناك الكثير من الأمثلة المستمدة من الحياة اليومية، التي تبرز فيها بشكل جلي، المظاهر السلوكية الدالة على العجز المتعلم. نشير في هذا السياق، أن ثمة سببين أساسيين، يستثيران العجز المتعلم[٥٦]، هما:

١- أن العجز الذي يعاني منه الأفراد، يرجع إلى نوعين من العوامل:

فأما أن تكون داخلية، وأما أن تكون خارجية. فان كانت داخلية، فأن ذلك يعني، أن الخصائص الشخصية التي يتمتع بها الأفراد، هي المسؤولة عن شعورهم

بـالعجز. وإن كانـت خارجيـة، فـان ذلـك يعنـي، أن المواقـف المحيطـة بهـم، هـي المسؤولة عن حالة العجز التي يعانون منها.

٢- أن الأفراد، قد يعزون شعورهم بالعجز، إلى الاستقرار والثبات النسبي للمواقف المحيطة بهم، أو العكس، إذ يعزون شعورهم بالعجز إلى أن المواقف المحيطة بهم، تتسم بغياب الاستقرار. وقد تكون هذهِ المواقف، طارئة، أو مؤقتة، وهو الأمر الذي يفضي إلى غياب الوضوح بين حالتي الاستقرار واللاستقرار.

العوامل المؤثرة في الخبرة المرتبطة بالتهجير القسري:

تشير الدلائل، أن الآثار النفسية المترتبة على التهجير القسري، ستكون أشد وطأة على الأطفال. وستأخذ منحى سلبياً، بل أن هذه الآثار، ستجعل الأطفال في وضع نفسي مأزوم، يصعب التنبؤ بعواقبه، على أن شدة هذه الآثار، تعتمد على عدد من العوامل التي ينبغي مراعاتها، ومنها على وجه التحديد:

١- العمر:

تشير الوقائع الميدانية، أن الأطفال الكبار، اكثر تأثراً بالخبرة الناجمة عن التهجير القسري من اولئك الصغار، وهذا الراي له ما يسنده على صعيد الدراسات الميدانية. إذ تفيد ، أن الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين (٦-١٢) سنة، كانوا أكثر تأثراً بالخبرات الناجمة عن الصدمات النفسية[٥٧]. وهذا يؤشر حقيقة أساسية، ألا وهي: أن تقدم الأطفال في العمر، سيجعلهم أكثر وعياً ودراية بالأوضاع المحيطة بهم؛ ولأن التقدم في العمر، سيجعلهم أكثر دراية بحقيقة ما يجري حولهم؛ فهم أكثر تأثراً بحقيقة الأوضاع الجارية. وعلى النقيض من ذلك، الأطفال الأصغر سناً، فهؤلاء يجهلون حقيقة الأزمات التي تعاني منها أسرهم، إلى جانب ذلك، أن وعيهم يكاد يكون ضعيفاً بمسببات الأحداث التي تعرضت لها أسرهم. لذا فان تأثرهم بهذه الأحداث، سيكون أقل من تأثر أقرانهم الكبار، وهذا الرأي، له ما يسنده على صعيد الدراسات الميدانية. ففي إحدى الدراسات سحبت عينة من الآباء، إذ طلبت منهم ذكر المشكلات النفسية التي أخذ يعاني منها أطفالهم بعد الإعصار الذي ضرب المدينة التي يعيشون فيها.

والجدير بالإشارة، أن أطفال هؤلاء الآباء، كانوا يتابعون برامجهم في إحدى دور العرض السينمائي، عندما ضرب الإعصار المدينة، علماً أن أعمار هؤلاء الاطفال تراوحت بين (٢-١٢) سنة. وقد تبين، أن الأطفال الذين تراوحت

أعمارهم بين (٦-١٢) سنة، كانوا أكثر تأثراً بالخبرة الناجمة عن الإعصار، من أولئك الأصغر سناً[٥٨].

ويستنتج من نتائج هذه الدراسة، أن الأطفال الأقل من (٦) سنوات، أقل تأثراً بالخبرة الناجمة عن الصدمة النفسية.

وما يهمنا هنا، أن الأطفال الأكبر سناً، هم أكثر تأثراً بخبرة التهجير القسري؛ وهذا يرجع إلى أسباب متعددة ، منها: أن هؤلاء الأطفال بالرغم من وعيهم بحقيقة ما يجري حولهم، فأنهم يفتقرون إلى الخبرات الحياتية التي تساعدهم على اتقان التعامل مع المواقف الاجتماعية المتنوعة، مما يترتب على ذلك، صعوبة انتقاء الأساليب المناسبة في التعامل معها، وهذا سيؤدي بطبيعة الحال إلى صعوبة التوافق مع البيئة الجديدة.

كذلك، فان الأطفال الكبار، سيكونون أكثر تأثراً بالآثار المترتبة على التهجير القسري، حين يدركون أن أسرهم، لم تعد قادرة على حماية أفرادها[٥٩] من ضرر الجماعات المسلحة، وهذا سيؤدي بهم إلى الاعتقاد: أن العالم المحيط بهم، لم يعد آمناً، وأنه أصبح أكثر خطورة، وهذا الاعتقاد، قد يدفع بهم إلى تقليل علاقاتهم الاجتماعية مع أقرانهم في البيئة الجديدة. كما أن التهجير القسري، سيكون أشد وطأة على الأطفال الكبار، حين يدركون، أن أسرهم، فقدت الكثير من ممتلكاتها وأصولها المالية، فضلاً عن فقدان وحداتها السكنية، مما جعلها تعاني من الحرمان الاقتصادي، وهذا سبّب لها بطبيعة الحال، صعوبات معيشية، والمهم في الأمر، أن هذه المعاناة، قد انعكست سلباً على الأطفال، إذ أخذوا يشعرون بالألم جراء التهجير الذي جعل أسرهم تعاني الفقر والحرمان، ومما زاد من آلامهم هذه، ان أعمارهم الصغيرة، لم تعد تمكنهم من إيجاد الحلول الناجعة لمشكلات أسرهم؛ ولأنهم غير قادرين على تخليص أسرهم من معاناتها المعيشية، فأن المتوقع، أن تشهد أحوالهم النفسية، مزيداً من التدهور، ان استمرت الآثار الناجمة عن التهجير القسري، مدة طويلة.

ومن الأسباب التي تجعل الأطفال الكبار أكثر تأثراً بخبرات التهجير القسري، شعورهم بالاغتراب عن البيئة التي نزحوا إليها. فلقد تبين من وقائع الميدان، أن هؤلاء الاطفال الذين استقروا في البيئة الجديدة، أخذوا يشعرون بالغربة فيها، وأنهم يجدون صعوبة في الاندماج مع افرادها. كذلك، فان التنبيهات الاجتماعية، التي تشتمل عليها هذه البيئة، كانت غير مألوفة بالنسبة لهم، وهو

الأمر الذي زاد من حدة التأثر بخبرة التهجير القسري. كما أن هذه البيئة، لم تتمكن من إشباع حاجاتهم الاجتماعية المتمثلة بالانتماء إلى جماعة الأقران. وقد زاد ذلك من معاناتهم النفسية، على أن الاغتراب عن البيئة الجديدة، سيزداد حدة، في حال انخفاض مستوى الاسناد الاسري.

٢- الجنس:

نُشير في هذا السياق، أن الدراسات التي تناولت الآثار النفسية المترتبة على تعرض الاطفال إلى التهجير القسري، لم تتوصل إلى نتائج نهائية وقاطعة فيما يتصل بتأثير عامل الجنس في خبرة التهجير القسري، وفي هذا الصدد، نثير السؤالين الآتيين، هما: هل أن الجنس عامل مؤثر في خبرة التهجير القسري؟ واذا كان الجنس عاملاً مؤثراً، أي الجنسين أكثر تأثراً من نظيره الآخر بخبرة التهجير القسري؟

وبقدر تعلق الأمر بالسؤال الاول، نقول: أن وقائع الميدان، فضلاً عن الدراسات التي تقترب في مضمونها من الدراسة الحالية، اثبتت أن الجنس، يعد أحد العوامل المؤثرة في الخبرة المرتبطة بالتهجير القسري[٦٠]. والتفسير الذي نجده مناسباً في هذا السياق، يكمن في أن الأفراد من كلا الجنسين، يظهرون تبايناً في نوعية الاستجابة، إزاء الخبرة الناجمة عن التهجير القسري، وهذا التباين في الاستجابة، ينقسم إلى نوعين اثنين: فاما النوع الاول، فهو يشتمل على استجابة الاحجام، وهذا يعني، أن أحد الجنسين، يجد صعوبة في التواصل مع الحياة الاجتماعية، بعد تعرضه إلى خبرة التهجير القسري.

وأما النوع الثاني، فهو يشتمل على استجابة الاقدام، وهذا النوع من الاستجابة على النقيض تماماً من استجابة النوع الاول، وهو يعني صراحة، أن أحد الجنسين، يستطيع التواصل مع الحياة الاجتماعية، دون صعوبة تذكر، أثر تعرضه إلى أحداث التهجير القسري، على أن هذه الاستجابة، سواء كانت ، اقدام ام احجام، انما تؤشر مستوى من التأثر بالخبرة الناجمة عن التهجير القسري، ومن الصعوبة بمكان نسيانه، وبذلك يعد الجنس أحد العوامل المؤثرة في خبرة التهجير.

أما بصدد السؤال الثاني المتعلق بالفروق الحاصلة بين الجنسين، نشير أن الأفراد من كلا الجنسين، كما اشرنا سلفاً، يظهرون تبايناً في الاستجابة المتعلقة بخبرة التهجير، بيد أن وقائع الميدان، تشير إلى أن الإناث أكثر تأثراً بخبرة

التهجير، وأن ثمة مؤشرات تثبت ذلك، من بينها: أن الإناث يواجهن صعوبة في التعامل مع الضغوط المرتبطة بالتهجير، وهذا يشير إلى أنهنَّ لا يمتلكن الأساليب المناسبة في التعامل معها، مما يؤدي والحال هذه، إلى زيادة مستوى القلق الحادث لديهن، وتشير المؤشرات كذلك، ان مشاعر الخوف والسلبية، أخذت تلازم الكثير منهنَّ، جراء الأحداث المرتبطة بالتهجير القسري، وهو الأمر الذي دفع بهن إلى البقاء في المنازل؛ وعدم مبارحتها؛ خشية تعرضهن إلى ما لا يحمد عقباه. كما تشير المؤشرات، أن التهجير الذي تعرضت له اسر الأطفال جعل الإناث تكتسب حساسية مفرطة تجاه التنبيهات الحادثة في البيئة المحيطة بهن، وهذا لا يعني ، أن الذكور، لم يظهروا تأثراً بأحداث التهجير، بل أظهروا درجة كبيرة من التأثر بهذه الأحداث، كما تشير وقائع الميدان.

وهنا نصل إلى مسألة لابد من الإشارة إليها وهي، أن الجنسين أظهرا درجة من التأثر بأحداث التهجير، ولعل الاختلاف الحاصل في التأثر بينهما، يكمن في طبيعة الاستجابة المعبرة عنه. فاذا كان الذكور يعبرون عن تأثرهم بأحداث التهجير بالانفعال والمواجهة، المتمثلة بالتهديد والوعيد لأولئك الذين عمدوا إلى حرمانهم من ممتلكاتهم ومنازلهم، أو تسببوا بقتل بعض أفراد أسرهم، فإن الإناث عادة ما يعبرن عن تأثرهن بالمواقف من هذا النوع، بالخوف والحيطة والحذر والسلبية. وبذلك، فإن كلا الجنسين يظهران تأثراً بخبرة التهجير، بيد أنهما يختلفان في نوعية الاستجابة المعبرة عن التأثر، على أن نوعية الاستجابة، تتقرر بموجب التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمع.

٣- المستوى الاجتماعي – الاقتصادي:

لقد اثبتت ملاحظات الميدان، أن نوعية الخبرة الناجمة عن التهجير القسري، تتقرر بموجب المستوى الاجتماعي- الاقتصادي للأسرة، وهذا يعني، أن شدة الخبرة، ستعتمد على المستوى الاجتماعي- الاقتصادي الذي تنتمي إليه الأسرة. فالأسرة التي تنتمي إلى المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني، عادة ما تعاني من ضنك أحوالها المعيشية؛ نتيجة انخفاض دخلها وقلة مواردها المالية. والمهم في الأمر، أن انخفاض المستوى الاجتماعي- الاقتصادي للأسرة، سيجعلها غير قادرة على الإيفاء بالتزاماتها تجاه أطفالها. ومما يزيد من المعاناة المعيشية للأسرة التي تنتمي إلى هذا المستوى، تعرضها إلى التهجير، وهذا سيضيف إليها

أعباءً حياتية جديدة. وسيكون الأطفال أشد تأثراً بهذه المعاناة، ومن ثم- وهو المهم- تكوين خبرة مؤلمة عن التهجير.

أما الأطفال الذين ينتمون إلى مستوى متوسط، أو عالٍ، فإن أحوالهم المعيشية في اثناء التهجير أو بعده، ستكون أفضل من أحوال أقرانهم الذين ينتمون إلى المستوى المتدني، ومن ثم سيكون تأثرهم بخبرة التهجير، اقل من تأثر أقرانهم الآخرين؛ والسبب يرجع، إلى الدخل الذي تتمتع به الأسرة، سواء كانت تنتمي إلى المستوى المتوسط، أو الى المستوى الراقي. فلقد تبين من الملاحظات الميدانية، أن الأسرة تمكنت بفعل دخلها من تلبية احتياجات أطفالها دون مشقة، والى جانب ذلك، أنه اسهم في المحافظة على مستواهم الحياتي، الذي آلفوه قبل التهجير.

كذلك نشير، إلى أن انخفاض المستوى الثقافي للابوين، سيؤدي ولا ريب، الى إهمال الأطفال وعدم الاهتمام بمشكلاتهم ، ولاسيما المشكلات الناشئة عن التهجير. ولعل التركيز على المستوى الثقافي للأبوين، ينطلق من فكرة مفادها: أن ارتفاع المستوى الثقافي للابوين، سيفضي إلى زيادة مستوى وعيهما الاجتماعي، وهذا سيؤدي بدوره، إلى الاهتمام بأطفالهما حال تعرضهم إلى مشكلات معينة، وسيتم معالجتها، حين تبدأ بالتشكل، أو قبل ان تتفاقم، وهو الأمر الذي يقلل من حدة التأثر بخبرة التهجير. وعلى النقيض من ذلك، سيؤدي انخفاض المستوى الثقافي للأبوين، إلى إهمال الأطفال وعدم الاهتمام بهم، على أن الإهمال هذا، سيشهد زيادة ملحوظة بعد التهجير؛ بسبب انشغال الأسرة برمتها بالضغوط المترتبة على التهجير، وهو الأمر الذي يعرض الأطفال إلى مزيد من المشكلات النفسية، التي تفضي بالمحصلة النهائية، إلى أن يكونوا أكثر تأثراً بخبرة التهجير من أقرانهم الآخرين.

٤- المناخ الأسري:

لقد أثبتت الشواهد، أن الأطفال الذين يتمتعون بمناخ أسري يتصف بالتفكك والاضطراب، كانوا أشد تأثراً بخبرة التهجير القسري، من أقرانهم الآخرين من ذوي المناخ الاسري الذي يتصف بالدفء والاهتمام. وأن ثمة أسباباً تدفع الأطفال إلى التأثر، من بينها: أن الخلافات الحادثة بين الأبوين، قد أدت إلى التذمر من الحياة، ومن ثم عدم الاكتراث بالأوضاع المحيطة بهم، وهو الأمر الذي يجعلهم أشد تأثراً بخبرة التهجير.

كذلك، فإن هؤلاء الأطفال، لم يشعروا بالدفء الأسري، الذي يخفف عنهم بعض المشكلات النفسية التي أخذوا يعانون منها، جراء التهجير. والرأي الذي

نصل إليه، أن الأطفال من ذوي المناخ الأسري المضطرب، سيكونون أشد تأثراً بخبرة التهجير من أقرانهم الآخرين.

٥- الخبرات المؤلمة:

نشير في هذا السياق، إلى أن الخبرات المؤلمة التي تعرض لها الأطفال في وقت مضى، قد تجعل التهجير القسري، اشد وطأة عليهم، مقارنة بأقرانهم الآخرين. إذ تشير الوقائع الميدانية، ان بعض الأطفال الذين هجرت أسرهم، تعرضوا في وقت مضى إلى خبرات مؤلمة، سواء في منازلهم، أو في مدارسهم، أو في مناطق سكناهم. فلقد شاهد هؤلاء أحداثاً مؤلمة، يصعب عليهم تحملها، أو نسيانها، ومنها: أنهم شاهدوا مسلحين مجهولين يقتحمون منازلهم ويقتلون بعض أفراد اسرهم، أو يعتدون عليهم بالضرب، أو يسلبون ممتلكاتهم الثمينة. كذلك، شاهد بعض الأطفال وهم في صفوفهم الدراسية، أن عدداً من المسلحين ، اقتحموا ساحة المدرسة، وأخذوا يطلقون العيارات النارية بصورة عشوائية، مما ادى إلى إصابة بعض المعلمين بجروح. وفي حادثة مروعة، اقتحم مسلحون مجهولون، إدارة المدرسة، وخرج منها المدير، والبندقية مصوبة إلى رأسه، ثم بعد ذلك عمد هؤلاء إلى إخراج التلاميذ من صفوفهم، وطلبوا منهم التجمع في ساحة المدرسة، وبعد ان انتظم التلاميذ في طوابيرهم المعتادة، اقتيد المدير إليها، ثم أطرحوه أرضاً، وأخرج أحدهم سكيناً ونحره كما تنحر الشاة. وبطبيعة الحال، فان مشاهدة الأطفال لأحداث من هذا النوع، ستؤدي ولا ريب، إلى النفور من الحياة، وهذا سيؤدي بدوره إلى صعوبة التواصل مع الآخرين؛ لأن العالم المحيط بهم، اصبح أكثر خطورة من وجهة نظرهم، وليس أدل على ذلك، سوى انخفاض نشاطهم العام. وتلك ظاهرة استرعت الانتباه؛ ذلك أن انخفاض مستوى نشاطهم العام، لم يعد يتناسب مع أعمارهم الفتية، التي تتميز بالحيوية والنشاط؛ ولأنه كذلك، فقد اصبحت هذه الظاهرة جاذبة لانتباه اولئك الذين يحيطون بهم؛ ولعل الانخفاض الحادث في النشاط العام، انعكس سلباً على متابعة الدراسة، فقد عزف بعضهم عن الذهاب إلى المدرسة، وأنه اخذ يلازم المنزل؛ خوفاً من الأخطار التي ازدادت مصادرها بشكل غير مسبوق والرأي الذي نصل إليه، ان هذه الأحداث قد تفاعلت

مع خبرة التهجير، وكانت محصلة التفاعل، أنهم أصبحوا أشد تأثراً بالخبرة الناجمة عن التهجير.

٦- خصائص الشخصية:

تعد خصائص شخصية الأطفال من العوامل المؤثرة في الخبرة الناجمة عن التهجير القسري، وتأثيرها يكمن هنا، أن ثمة خصائص شخصية معينة، قد تجعل الأطفال أميل إلى التأثر بخبرة التهجير، وقد يحدث العكس، إذ تجعلهم أبعد عن التأثر بها. وفي هذا السياق، نشير أن ثمة تفاوتاً بين الأطفال المهجرين أنفسهم، فيما يتصل بقدرتهم على تحمل الأحداث المؤلمة. فلقد أظهر بعض الأطفال، قدرة على تحمل الخبرات المرتبطة بالتهجير القسري، وأظهر آخرون منهم، قدرة ضعيفة على التحمل. وبذلك، فان الأطفال الذين يتمتعون بقدرة ضعيفة على التحمل، هم أكثر تأثراً بخبرة التهجير القسري من غيرهم. كما وجد، أن القلق الاجتماعي، يعد من الخصائص الشخصية التي تميز الأطفال المهجرون عن غيرهم، وهذا الرأي له ما يسنده على صعيد الدراسات الميدانية. فلقد توصلت إحدى الدراسات، أن الأطفال المهجرين أظهروا درجة عالية من القلق الاجتماعي، مقارنة بأقرانهم من غير المهجرين(٦١). والحقيقة، أن زيادة مستوى القلق الاجتماعي، سيجعل هؤلاء الأطفال أميل إلى التأثر بخبرة التهجير من غيرهم.

كذلك، وجد أن الانسحاب من البيئة الاجتماعية، يعد من الخصائص الشخصية التي أخذت تميز الأطفال المهجرون، مقارنة بأقرانهم؛ والتفسير المناسب الذي نسوقه في هذا الصدد، هو أن الأحداث المروعة التي تعرضوا لها في وقت مضى، جعلتهم يحتفظون بأثرها السلبي، وأن الانتقال إلى البيئة الجديدة، لم يخفف عنهم حدة الاثر، والدليل على ذلك، أن أساليبهم في التعامل مع الضغوط، كانت تركز على الهروب والتجنب، عندما يتعرضون إلى مشكلة معينة؛ وذلك بتركها أو الهروب منها؛ لأن أثارتها والخوض في تفاصيلها، سيؤدي إلى استثارة مشاعر من الضيق والألم، مما يدفعهم إلى الهروب منها؛ بقصد نسيانها، ومن ثم التخلص من الآثار المترتبة عليها(٦٢). وهذا يؤشر ولا ريب، أن الأطفال المهجرين، قد سجلوا درجة عالية من التأثر بخبرة التهجير.

ونشير أيضاً، أن الأطفال الذين يتمتعون بمفهوم سلبي عن ذواتهم، هم أميل إلى التأثر بخبرة التهجير القسري من أقرانهم؛ وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى شعور هؤلاء بعدم أهميتهم، وأن وجودهم في الحياة لا يعني شيئاً، ومما زاد من

حدة هذه المشاعر، ومن ثم التأثر بخبرة التهجير القسري، أن الأحداث المؤلمة التي رافقت التهجير، قد زادت من عجزهم وسلبيتهم، وهو الامر الذي عجل من تأثرهم بخبرة التهجير.

فرضيات البحث:

١- يعاني الأطفال المهجرون من وضع اقتصادي متدنٍ.
٢- يعاني الأطفال المهجرون من وضع أسري يتصف بالتفكك.
٣- يعيش الأطفال المهجرون في وحدات سكنية مزدحمة
٤- يفد الأطفال المهجرون من أسر تتمتع بمستوى ثقافي متدنٍ.
٥- يتصف الأطفال المهجرون بعدم الرضا عن حياتهم.
٦- يحمل الأطفال المهجرون اتجاهاً سلبياً نحو المجتمع.
٧- يتمتع الأطفال المهجرون بتحكم خارجي في الأحداث المحيطة بهم.
٨- يحمل الأطفال المهجرون اتجاهاً ينطوي على التشاؤم من المستقبل.
٩- يعاني الأطفال المهجرون من تأخر دراسي.
١٠- يعاني الأطفال المهجرون من انخفاض مستوى دافعية الانجاز الدراسي.
١١- يتصف الأطفال المهجرون بمستوى عالٍ من السلوك العدواني.
١٢- يتصف الأطفال المهجرون بتشتت الانتباه.

إجراءات البحث

أولاً: العينة

لابد من الإشارة في هذا السياق، إلى أن حجم العينة، يعتمد بالدرجة الاساس على حجم المجتمع الأصلي؛ والمجتمع الاصلي، يتحدد حجمه، استناداً الى النوع الذي ينتمي اليه. وفي هذا الصدد نشير الى أن المجتمع الاصلي، ينقسم إلى نوعين: فأما الأول فهو معلوم الحجم، اذ تتوفر بيانات إحصائية دقيقة عن حجمه، وأما الثاني، فهو مجهول الحجم، وهو على النقيض من الأول، أي لا تتوفر بيانات إحصائية عن حجمه. والفكرة التي نريد أن نصل اليها، أن المجتمع الأصلي للبحث الحالي، هو من النوع الثاني؛ ولأن المجتمع الأصلي مجهول، ويصعب تحديد

حجمه، فان الباحث وجد نفسه امام خيارين اثنين: فأما أن يعتمد على مؤشرات تحديد حجم العينة التي وضعها أحد الباحثين المتخصصين في هذا المجال، عندما يكون حجم المجتمع الأصلي مجهولاً[٦٣]. وأما أن يعتمد على أحجام العينات في الدراسات السابقة التي تناولت الظاهرة التي يعالجها البحث الحالي؛ وذلك بانتقاء حجم العينة، استناداً إلى المدى الذي تراوحت فيه احجام العينات في الدراسات السابقة، ولقد فضل الباحث الخيار الثاني.

فقد سحبت العينة بالطريقة العمدية، أي من الأعداد المتاحة للأسر المهجرة في مدينة بغداد، بحجم بلغ (١٥٠) طفلاً، ومن كلا الجنسين، اذ بلغت نسبة الذكور (٤٤%) ، في حين بلغت نسبة الإناث (٥٦%)، وكانت أعمارهم تتراوح بين (٦-١٤) سنة.

ثانياً: الأدوات

١- استمارة المسح الاجتماعي:

إن الغرض من إعداد هذه الاستمارة، هو الحصول على معلومات شخصية واجتماعية واقتصادية، تخص الأطفال المهجرين واسرهم، ولقد اشتملت هذه الاستمارة على البيانات الآتية:

أ- بيانات عن العمر والتحصيل الدراسي للأطفال المهجرين.

ب- بيانات عن الوضع الاقتصادي لأسر الأطفال المهجرين، كالمهنة التي يحترفها الأبوان، ونوع السكن وعائديته والدخل الشهري وعدد غرف النوم، وعدد أفراد الأسرة والوضع المعيشي لأسر الأطفال قبل التهجير وبعده.

ج- بيانات عن الوضع الاسري، من حيث: الخلافات الأسرية وعلاقة الأطفال بأسرهم، وبقاء الأبوين على قيد الحياة.

د- بيانات عن الوضع الثقافي للأبوين.

٢- استمارة المسح النفسي:

لقد أجرى الباحث مقابلة فردية مع الأطفال المهجرين، وكانت تستهدف الحصول على بيانات تتعلق برضا هؤلاء عن حياتهم، ونظرتهم إلى المستقبل،

واتجاهاتهم نحو المجتمع، كما أجرى الباحث مقابلة مع الملاك التربوي الذي يشرف على تدريس هؤلاء بصورة مباشرة؛ بقصد الحصول على بيانات تتعلق بدافع انجازهم الدراسي وسلوكهم العدواني ومستوى انتباههم.

وقد اعد الباحث استمارة لكل طفل، تشتمل على البيانات المتعلقة بالمتغيرات النفسية المشار اليها؛ ولأجل معرفة الطريقة التي اتبعت في قياس هذه المتغيرات، نستعرضها على النحو الآتي:

أ- الرضا عن الحياة:

طرح الباحث على الأطفال فيما يتعلق بالرضا عن الحياة، السؤال الآتي: هل أنت راضٍ عن حياتك الحالية؟

لقد استهدف الباحث من السؤال المطروح، الكشف عن مستوى الرضا عن الحياة؛ وحتى يتمكن الأطفال من تحديد إجاباتهم على وجه الدقة، طلب الباحث منهم، الاستعانة ببدائل ثلاثية، وهي: راضٍ عن حياتي بدرجة كبيرة، راضٍ عن حياتي بدرجة قليلة، غير راضٍ عن حياتي تماماً. وقد روعي في بدائل الاستجابة هذهِ، أنها تتناسب مع مستوى فهم الأطفال واستيعابهم، وأنها لا تعمد إلى تشتيت انتباههم.

ب- النظرة إلى المستقبل:

كما طرح الباحث على الأطفال، فيما يتعلق بنظرتهم إلى المستقبل، السؤال الآتي: كيف ترى المستقبل؟ ويستهدف السؤال، معرفة تصورات هؤلاء الأطفال عن المستقبل، وكان الباحث يعمد إلى توضيح السؤال، أن وجد صعوبة في فهمه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى خطوة أخرى، ألا وهي: تحديد الإجابة. اذ يطلب من الأطفال، الإجابة عن السؤال، اعتماداً على بديلين اثنين، هما: ان المستقبل يبشر بخير، أو أنه ينذر بسوء.

ج- الاتجاهات نحو المجتمع:

كذلك طرح الباحث على الأطفال، فيما يتعلق باتجاهاتهم نحو المجتمع، السؤال الآتي: كيف ترى الناس في المجتمع؟

وكان الباحث يستهدف من السؤال المطروح، الكشف عن طبيعة اتجاهات هؤلاء الأطفال نحو المجتمع، استناداً إلى الرأي القائل: أن الأطفال يعمدون إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو المجتمع، في حال تعرضهم إلى خبرات مؤلمة من جانب أفراده. وعلى اساس ذلك، طرح الباحث سؤاله على الأطفال ، طالباً منهم الإجابة عنه، اعتماداً على بديلين اثنين، هما: الناس أخيار، أو أشرار. وبذلك ، فان الباحث تمكن بموجب هذا الإجراء من قياس اتجاهات الأطفال نحو المجتمع على وجه الدقة.

د- دافع الانجاز الدراسي:

أجرى الباحث زيارة ميدانية لمدارس الأطفال الابتدائية والمتوسطة، والتقى بالملاك التربوي الذي يشرف على تدريس الأطفال. وكان الهدف من الزيارة، الحصول على تقدير لمستوى الانجاز الدراسي للأطفال المهجرين، طبقاً لبدائل الاستجابة الآتية: ضعيف، مقبول، متوسط، جيد، جيد جداً، امتياز، ونتيجة لهذا الإجراء، حصل الباحث على التقديرات المطلوبة.

هـ- السلوك العدواني:

وطلب الباحث كلك في أثناء الزيارة الميدانية من الملاك التربوي، تقدير مستوى السلوك العدواني، طبقاً لبدائل الاستجابة الآتية: عدواني بدرجة كبيرة، عدواني بدرجة قليلة، غير عدواني، وقد حصل الباحث على التقديرات المطلوبة التي تمكنه من قياس متغير العدوان.

و- الانتباه:

وبقدر تعلق الأمر بالانتباه، طلب الباحث من الملاك التربوي، تقدير مستوى انتباه الأطفال من عينة البحث الحالي اعتماداً على بدائل الاستجابة الآتية: يتمتع بانتباه عالٍ، يتمتع بانتباه ضعيف، غير منتبه تماماً، وبهذا الإجراء ، تمكن الباحث من الحصول على التقديرات المتعلقة بمتغير الانتباه.

٣- مقياس وجهة التحكم بالأحداث:

لقد اعتمد البحث الحالي على أداة جاهزة، أعدها الباحث في دراسة سابقة، اجريت على الأطفال العاملين في الشوارع؛ بقصد معرفة وجهة التحكم بالأحداث.

وقد ثبت للباحث صلاحيته لقياس الظاهرة، كما ثبت أنه يميز بين الأطفال الذين يتصفون بالتحكم الداخلي، واولئك الذين يتصفون بالتحكم الخارجي، وهو الامر الذي جعل الباحث يطمئن إلى دقته في قياس الظاهرة قيد الدراسة.

إن المقياس الحالي روعي في إعداده، ان تكون نصف فقراته تقيس وجهة التحكم الداخلي، والنصف الآخر، يقيس وجهة التحكم الخارجي؛ ولتجنب المرغوبية الاجتماعية، عمد الباحث إلى وضع فقرة تقيس وجهة التحكم الداخلي تتبعها فقرة تقيس وجهة التحكم الخارجي، ثم بعد ذلك تأتي فقرة اخرى تقيس وجهة التحكم الداخلي، تتبعها فقرة تقيس وجهة التحكم الخارجي، وهكذا إلى الفقرة الأخيرة. وبطبيعة الحال، فان هذا الإجراء ، يقتضي أن يكون عدد الفقرات زوجياً وليس فردياً؛ بهدف المحافظة على طريقة ترتيب الفقرات.

حُسبت الدرجة الكلية للطفل على مقياس وجهة التحكم بالأحداث على أساس مجموع الدرجات التي يحصل عليها من اجابته على فقرات المقياس البالغة (١٨) فقرة، وقد حددت الأوزان من (١-٣) لكل بديل،و لابد من الإشا رة في هذا السياق، إلى أن الفقرات الدالة على وجهة التحكم الداخلي، عُدت فقرات إيجابية، والفقرات الدالة على وجهة التحكم الخارجي، عُدت سلبية، وأعطيت الأوزان الآتية:

بدائل الاستجابة	أوزان الفقرات الدالة على وجهة التحكم الداخلي	أوزان الفقرات الدالة على وجهة التحكم الخارجي
تنطبق عليّ بدرجة كبيرة	٣	١
تنطبق عليّ بدرجة قليلة	٢	٢
لا تنطبق عليّ تماماً	١	٣

إنَّ المقياس الحالي يتمتع بالصدق، اذ استخرج صدق البناء عن طريق اختيار الفرضية القائلة: أن الأطفال العاملين في الشوارع يسجلون درجة اقل على مقياس وجهة التحكم بالأحداث من أقرانهم غير العاملين. وللتحقق من صحة هذه الفرضية، طبق الباحث المقياس الحالي على مجموعتين من الأطفال: فأما المجموعة الأولى، فهي تمثل الأطفال المستمرين على الدراسة، وأما المجموعة الثانية، فهي تمثل الأطفال العاملين في الشوارع، وبعد ذلك استخرجت درجات

المجموعتين ، ثم طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين؛ وذلك لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات الأطفال في المجموعتين.

وقد تبين ، ان ثمة فروقاً ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الاطفال العاملين في الشوارع واقرانهم، وكانت الفروق لصالح الأطفال المستمرين على الدراسة، وهذا يعني، ان المقياس الحالي، يميز بين مجموعتي الأطفال، مما يشير صراحة انه يتمتع بصدق البناء.

كذلك، تبين أن المقياس الحالي، يتمتع بالثبات المقبول، فقد استخرج بطريقة الاتساق الداخلي؛ وذلك بتطبيق معادلة الفا للثبات، اذ بلغ معامل الثبات (٠.٦١)، وهو مقبول ، استناداً إلى معيار مطلق.

النتائج ومناقشتها:

أولاً: النتائج المتعلقة باستمارة المسح الاجتماعي

١- العمر:

تراوحت أعمار الأطفال المهجرين بين (٦-١٥) سنة، وبمتوسط بلغ (١٠.٦١) سنة، والجدول (١) يوضح ذلك:

الجدول (١)

يوضح النسبة المئوية لفئات أعمار الأطفال المهجرين

فئات العمر	النسبة المئوية
٦-٨	٨
٩-١١	٦٤
١٢-١٥	٢٨

يتضح من الجدول، ان النسبة الكبيرة من افراد العينة، تقع بين فئتي (٩-١١) سنة و (١٢-١٥) سنة، اذ تشكل نسبة (٩٢%).

٢-مهنة الأب:تشير البيانات، أن (٨٠%) من آباء الأطفال المهجرين، يعملون في مهن حرة، يغلب عليها الطابع الموسمي، أو المؤقت، وان أجورها تكاد تكون متدنية. كما تشير البيانات، ان (٢٠%) منهم يحترفون العمل الوظيفي في الدوائر الرسمية.

٣- مهنة الأم: تشير البيانات، أن جميع أمهات الأطفال المهجرين ربات بيوت.

٤- التحصيل الدراسي لـلاب:تشير البيانات، ان (١١%) من اباء الاطفال المهجرين، يتقنون مهارة القراءة والكتابة، وأن (٣٢%) منهم، بلغ تحصيله الدراسي، المرحلة الابتدائية. وان (٢٤%) منهم، بلغ تحصيله الدراسي المرحلة المتوسطة، كما تشير البيانات، أن (١٢%) منهم، بلغ تحصيله الدراسي المرحلة الثانوية، في حين أن (٥%) من آباء هؤلاء الأطفال، اكمل تعليمه، اذ حصل على شهادة البكالوريوس. وبذلك، فان الآباء جميعهم، يتقنون مهارة القراءة والكتابة، على أن النسبة المتبقية، وهي بحدود (١٦%) تحسب للآباء الذين تعرضوا إلى الوفاة، سواء بصورة طبيعية، أو بصورة غير طبيعية، كما حصل في عمليات التهجير القسري، لذا، فان الباحث عمد إلى إهمال هذه النسبة.

٥- التحصيل الدراسي للأم: بلغت نسبة اتقان مهارة القراءة والكتابة بين أمهات الأطفال (٢٦%)، وبلغت نسبة الحاصلات على شهادة الدراسة الابتدائية (٤٣%). كما بلغت نسبة اللواتي حصلن على شهادة الدراسة المتوسطة (٢١%)، كذلك بلغت نسبة الأمهات اللواتي حصلن على شهادة الدراسة الثانوية (٥%). وتشير البيانات أن (٣%) منهن حصلن على شهادة البكالوريوس. وهذا يشير أن جميع أمهات الأطفال المهجرين، يتقنّ مهارة القراءة والكتابة، على أن النسبة المتبقية (٢%) من الأمهات هن في عداد الوفيات، لذا فان الباحث عمد إلى إهمالها.

٦- عائديه السكن: بلغت نسبة الاطفال المهجرين الذين تمتلك اسرهم وحدات سكنية(٩٤%) . كما بلغت نسبة اسر الأطفال الذين لا تمتلك اسرهم وحدات سكنية (٦%)، وبذلك فان ملكية الوحدة السكنية، هي النسبة الغالبة.

٧- نوع السكن: بلغت نسبة أسر الأطفال التي تسكن في منزل اعتيادي (٩٨%)، وفي شقة سكنية (١%)، وفي ابنية اشبه بالخربة تقع في مؤسسات حكومية، أو أهلية (١%)، وبذلك فان المنزل الاعتيادي، هو النوع الغالب من السكن.

٨- حجم الأسرة: تراوح حجم أسر الاطفال المهجرين بين (٣-١٨) فرداً، وبمتوسط بلغ (٧.٦٣) فرداً، والجدول (٢) يوضح ذلك:

الجدول (٢)

يوضح النسبة المئوية لحجم اسر الأطفال المهجرين

حجم الأسرة	النسبة المئوية
١-٣	٢
٤-٦	٣٢
٧-٩	٥٠
١٠-١٢	٨
١٣-١٥	٦
١٦ فأكثر	٢

يتضح من الجدول، أن فئة (٧-١٢) فرداً، تشكل النسبة الكبيرة من افراد العينة، اذ بلغت (٥٨%)، وهذا يشير إلى أن اسر الأطفال المهجرين، تعاني من زيادة عدد أفرادها.

٩- عدد غرف النوم:

تراوح عدد غرف النوم لأفراد العينة بين (١-٤) غرفة، وبمتوسط بلغ (١.٧٨) غرفة، والجدول (٣) يوضح ذلك:

فئات غرف النوم	النسبة المئوية
١-٢	٨١
٣-٤	١٩

يتضح من الجدول أن فئة (١-٢) غرفة ، احتلت النسبة الكبيرة، اذ بلغت (٨١%).

إنَّ من بين الواضح، أن عينة الدراسة الحالية، لا تتمتع بعدد كافٍ من غرف النوم؛ بسبب أن الفئة (١-٢) غرفة هي التي احتلت النسبة الكبيرة. فلقد بلغت هذه النسبة (٨١%)؛ وبهدف معرفة نصيب أفراد العينة من غرف النوم، ليتسنى لنا بعد ذلك، تحديد نسبة الإشغال المقبولة أو المريحة داخل المنزل، وبقسمة عدد أفراد الاسرة على عدد غرف النوم، فان نسبة الإشغال داخل الغرفة الواحدة، تكون (٤.٢٩) فرداً. بيد أن هذه النسبة التي خرجت بها الدراسة الحالية، لابد من تقويمها؛ وذلك بمقارنتها بمعيار يتم بموجبه تحديد النسبة المقبولة للإشغال.

وهنا نجد، ان المعيار الذي يحدد نسبة الإشغال المقبولة، يتأثر بالعامل الثقافي. فقد تعد نسبة إشغال معينة في ثقافة ما، على سبيل المثال، مقبولة ولا تشير إلى زحام، في حين تعد هذه النسبة في ثقافة أخرى غير مقبولة. اذ تشير إلى التزاحم، وبهذا المعنى، فأن المسألة تخضع إلى العامل الثقافي أكثر من خضوعها إلى العامل الإحصائي. ففي بعض الثقافات الأوربية على سبيل المثال لا الحصر، تعد نسبة (١.٥) شخصاً في الغرفة الواحدة مزدحمة، وما زاد عن هذه النسبة، تعد الغرفة مزدحمة جداً[٦٤]. ولكن الأمر على النقيض من ذلك تماماً، فهي تعد مقبولة في ثقافة أخرى، ففي العراق مثلاً، تعد نسبة الإشغال التي تتراوح بين (٢.٣٣-٣.٦٨) شخصاً في الغرفة الواحدة مزدحمة[٦٥]، وهذا يعني صراحة أن نسبة الإشغال (١.٥) شخصاً أو أكثر، تعد نسبة إشغال مقبولة، استناداً إلى المؤشر المشار اليه، بيد ان زيادة نسبة الإشغال بأكثر من (٢) شخصاً إلى (٣.٦٨) شخصاً، تعد النسبة غير مقبولة، وتدخل ضمن نطاق الزحام، وما زاد عن (٣.٦٨) شخصاً في الغرفة الواحدة، تعد هذه النسبة غير مقبولة أيضاً، وتدخل ضمن نطاق الزحام الشديد[٦٦]. وطبقاً لهذا المؤشر، تعد النسبة التي خرجت بها الدراسة الحالية غير مقبولة، وتؤشر أن ثمة زحاماً شديداً تعاني منه أسر الأطفال في البيئة التي استقرت فيها بعد التهجير.

١٠- الاستمرار في الدراسة:

تشير البيانات، أن (٩٦%) من الأطفال المهجرين استمروا في الدراسة، بالرغم من ان أوضاعهم الاجتماعية كانت غير مستقرة، وأن (٤%) منهم انقطع عن الدراسة، ولم يعد منتظماً فيها. كذلك نشير، أن (٣٣%) من الأطفال الذين

واصلوا دراستهم، يعدون من المتأخرين في الدراسة بحدود (٢-٣) سنوات عن اقرانهم الآخرين؛ وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى أن الأوضاع التي رافقت التهجير القسري، فضلاً عن الضغوط الحياتية التي عانت منها أسرهم، حالت دون انتظامهم في دراستهم.

١١- الوضع الأسري:- تشير البيانات في الجدول (٤) إلى طبيعة الوضع الأسري الذي يتمتع به الأطفال المهجرون.

الجدول (٤)

يوضح النسبة المئوية لطبيعة الوضع الأسري للأطفال المهجرون

طبيعة الوضع الأسري	النسبة المئوية
بقاء الأب على قيد الحياة	٨٤
بقاء الأم على قيد الحياة	٩٨
الخلافات الأسرية	٢٤
نفور الأطفال من أسرهم	٢

واضح، أن الوضع الأسري لعموم أفراد العينة، يتسم بالانسجام والاهتمام، مما انعكس إيجاباً على استمرارية النسبة الكبيرة منهم في الدراسة.

١٢- الوضع الاقتصادي:- أشار (٤٥%) من الأطفال المهجرين إلى أن وضعهم الاقتصادي بعد التهجير، أصبح معسراً، وأن أسرهم أخذت تعاني من الفقر والحرمان في حين بلغت هذه النسبة قبل التهجير (١٩%)، وهذا يؤشر حقيقة مفادها: أن التهجير القسري، قد اثر سلباً على كثير من الأسر، كذلك أشار (٣٩%) من الأطفال إلى أن وضعهم الاقتصادي قبل التهجير، كان متوسطاً، وهو يعني، أن أسرهم كانت تتمتع بمستوى اقتصادي، يمكنها من مواجهة تكاليف المعيشة، دون ان تشعر بضائقة. في حين انخفضت هذه النسبة بعد التهجير، اذ بلغت (٧%) ، في إشارة واضحة إلى أن الأسر التي تعرضت إلى التهجير القسري، فقدت الكثير من

ممتلكاتها وأصولها المالية، وهو الأمر الذي جعلها تعاني من وضع اقتصادي بالغ السوء.

ثانياً: النتائج المتعلقة باستمارة المسح النفسي

١- الرضا عن الحياة:- أشار (٦٢%) من الأطفال المهجرين، انهم راضون عن حياتهم، وعبر (١٨%) منهم، أنه أقل رضا عن حياته، في حين عبرت نسبة منهم ، بلغت (٢٠%) أنها غير راضية عن حياتها.

٢- النظرة إلى المستقبل:-يرى (٩٣%) من الأطفال المهجرين، أن المستقبل يبشر بخير، في حين يرى القليل منهم، وبنسبة ضعيفة بلغت (٧%)، أن المستقبل ينذر بسوء.

٣- الاتجاهات نحو المجتمع:- تشير البيانات، أن (٩١%) من الأطفال المهجرين، يرى أن المجتمع خير، وانه محل ثقتهم، في حين يرى (٩%) منهم، أن المجتمع شرير، ويصعب الثقة به.

٤- دافع الانجاز الدراسي:-تشير البيانات، أن (٢٠%) من الأطفال المهجرين، يتمتعون بدافع انجاز دراسي ضعيف، و(٤٨%) منهم بلغت دافعية انجازه الدراسي إلى مستوى مقبول، و(٢٧%) منهم وصلت دافعية انجازه الدراسي إلى مستوى متوسط، ولم يصل من هؤلاء الأطفال إلى المستويين: جيد وجيد جداً. في حين ، بلغت دافعية الانجاز الدراسي لعدد قليل منهم إلى مستوى الامتياز، وبنسبة بلغت (٥%)، وهو أمر متوقع، استناداً إلى أن مستوى الامتياز، لا يصل اليه ، إلا العدد القليل من المتعلمين. وبذلك، فان النسبة الكبيرة من الأطفال المهجرين يتراوح مستوى انجازها الدراسي بين الضعيف والمقبول، وهذا يؤشر أن التهجير القسري، قد اثر ولا ريب على دافعية الانجاز الدراسي لهؤلاء الأطفال.

٥- السلوك العدواني:- تشير تقديرات الملاك التدريسي، أن (٦٨%) من الأطفال المهجرين، لم يظهروا سلوكاً يتصف بالعدوان تجاه أقرانهم من الأطفال. في حين ، اظهر (٣٠%) منهم سلوكاً عدوانياً بدرجة قليلة، وأظهر (٢%) منهم سلوكاً عدوانياً بدرجة كبيرة، وهو الأمر استرعى انتباه الملاك التدريسي، واستناداً إلى هذه النتيجة، نستطيع القول، أن الخبرات المؤلمة المرتبطة بالتهجير القسري، لم تتمكن من إحداث زيادة في سلوكهم العدواني.

٦- الانتباه:-تشير البيانات، أن (١٧%) من الأطفال يتمتعون بمستوى عالٍ من الانتباه في الصف الدراسي، و(٧٥%) منهم يتمتعون بدرجة ضعيفة من الانتباه، و(٨%) منهم لا ينتبهون إلى الدرس تماماً، مما يعني، أن النسبة الكبيرة منهم لا تتمتع بالانتباه في مواقف تقتضي التركيز على تنبيهات محددة دون غيرها، وهو الأمر الذي يجعلنا نعزو التشتت الحاصل في انتباه هؤلاء الأطفال إلى الأحداث المؤلمة التي رافقت التهجير القسري، التي أدت بين ما أدت إحداث تشتيت في انتباههم.

ثالثاً: الكشف عن طبيعة وجهة التحكم بالأحداث لدى الأطفال المهجرين

لقد بلغ متوسط درجات الاطفال المهجرين على مقياس وجهة التحكم بالأحداث (٣٤.٤) وبانحراف معياري مقداره (٣.٦٣) ؛ ولغرض الكشف عن طبيعة وجهة التحكم بالأحداث لدى هؤلاء الأطفال، تم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات، استناداً إلى الدرجات التي حصلوا عليها:

١- مجموعة من الأطفال المهجرين، سجلت درجة عالية على مقياس وجهة التحكم بالأحداث؛ وذلك بحصولها على درجات أكثر من (المتوسط+ انحراف معياري واحد).
٢- مجموعة من الأطفال، سجلت درجة معتدلة على مقياس وجهة التحكم بالأحداث؛ وذلك بحصولها على درجات تتراوح بين (المتوسط- انحراف معياري واحد والمتوسط+ انحراف معياري واحد).
٣- مجموعة من الأطفال، سجلت درجة منخفضة على مقياس وجهة التحكم بالأحداث، وذلك بحصولها على درجات اقل من (المتوسط- انحراف معياري واحد)، والجدول (٥) يوضح حدود الدرجة للمجموعات الثلاث.

الجدول (٥)

يوضح حدود الدرجات العليا والمعتدلة والمنخفضة والنسبة المئوية التي حصلت عليها المجموعات الثلاث على مقياس وجهة التحكم بالأحداث

طبيعة وجهة التحكم بالأحداث	حدود الدرجة	النسبة المئوية
الأطفال الذين سجلوا درجة عالية على مقياس وجهة التحكم بالأحداث	٤٢ فأكثر	١٤
الأطفال الذين سجلوا درجة معتدلة على مقياس وجهة التحكم بالأحداث	٣٤-٤١	٧٤
الأطفال الذين سجلوا درجة منخفضة على مقياس وجهة التحكم بالأحداث	٣٣ فأقل	١٢

يتضح من الجدول، أن النسبة الكبيرة من الأطفال المهجرين، سجلت درجة معتدلة على مقياس التحكم بالأحداث. اذ بلغت (٧٤%)، مما يشير أن وجهة التحكم بالأحداث، تميل إلى أن تكون داخلية- خارجية، بمعنى، أن التحكم بالأحداث لدى الأطفال، يميل إلى أن يكون داخلياً في مواقف معينة ، وخارجياً في مواقف أخرى.

مستخلص بأهم النتائج التي أسفر عنها البحث الحالي:

١- تراوحت أعمار الأطفال المهجرين بين (٦-١٤) سنة، وبمتوسط بلغ (١٠.٦١) سنة.
٢- أن معظم آباء الأطفال المهجرين يعملون في مهن حرة، متدنية الأجور، يغلب عليها الطابع الموسمي، أو المؤقت.
٣- تشير البيانات، ان جميع أمهات الأطفال، ربات بيوت.
٤- تتميز أسر الأطفال المهجرين بمستوى ثقافي تتقن فيه مهارة القراءة والكتابة.
٥- بلغ متوسط حجم الأسرة لأفراد العينة (٧.٦٣) فرداً.

٦- بلغت نسبة أسر الأطفال التي تمتلك وحدات سكنية (٩٤%)، كما بلغت نسبة هذه الأسر التي لا تمتلك وحدات سكنية (٦%)، وقد تبين ان الغالبية العظمى من هذه الاسر، تسكن في منازل اعتيادية.

٧- بلغ متوسط عدد غرف النوم لأفراد عينة البحث الحالي (١.٧٨) غرفة، وأن ثمة زحاماً تعاني منه أسر الأطفال.

٨- أن قلة قليلة من الأطفال، تقدر بحدود (٤%) انقطعت عن الدراسة.

٩- يقدر عدد الأطفال المتأخرين عن الدراسة؛ بسبب التهجير، بحدود الثلث، وأن عدد سنوات التأخير تراوح بين (٢-٣) سنة.

١٠- أن الوضع الأسري للأطفال المهجرين، يتسم بالانسجام والاهتمام.

١١- تشير البيانات، ان الكثير من اسر الأطفال، أخذت تعاني من وضع اقتصادي بالغ السوء بعد التهجير.

١٢- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين ، تشعر أنها راضية عن حياتها.

١٣- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين ، تحمل اتجاهاً ينطوي على التفاؤل في المستقبل.

١٤- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين، تحمل أتجاهاً إيجابياً نحو المجتمع.

١٥- تراوح مستوى الانجاز الدراسي لنسبة كبيرة من الأطفال المهجرين، بين درجتي الضعيف والمقبول.

١٦- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين، لم تظهر سلوكاً يتصف بالعدوان تجاه الاقران، وان قلة منهم، أظهرت سلوكاً عدوانياً بدرجة قليلة.

١٧- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين، تتمتع بدرجة ضعيفة من الانتباه.

١٨- أن نسبة كبيرة من الأطفال المهجرين، سجلت درجة معتدلة على مقياس التحكم بالأحداث، مما يشير أن التحكم بالأحداث يميل إلى أن يكون داخلياً في مواقف معينة، وخارجياً في مواقف أُخرى.

واستناداً إلى البيانات الواردة، نشير إلى أن الفرضيات التي تحققت هي: ١، ٣، ٩، ١٠، ١٢، في حين لم تتحقق الفرضيات الآتية: ٢، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١١.

مناقشة النتائج:

لقد توصل البحث الحالي إلى رأي مُفاده: أن ثمة آثاراً نفسية ترتبت على تعرض الأطفال إلى التهجير القسري؛ وحتى نتمكن من تفسير نتائج البحث الحالي، فإننا سنعمد إلى مناقشتها على النحو الآتي:

١- أن التهجير القسري، عمد إلى خفض المستوى المعيشي للأسر، اذ أخذت تعاني من وضع اقتصادي بالغ السوء، بل ان بعضها لم يتمكن من تدبير القوت اليومي، والسبب يعود ، إلى أن غالبية الآباء يعملون في مهن حرة، يغلب عليها الطابع الموسمي، وان أجورها متدنية، إلى جانب ذلك أن هذهِ الأسر ، تتميز بزيادة عدد أفرادها . اذ تشير البيانات، أن متوسط حجم هذه الاسر يزيد عن (٧) أفراد، وهذا يؤشر أن ثمة صعوبات أخذت تعاني منها هذه الأسر في مواجهة تكاليف المعيشة اليومية.

والحقيقة، أن الأوضاع الاقتصادية التي ازدادت سوءً لكثير من الاسر، انعكست سلباً على الأطفال، فقد أخذوا يلاحظون على اسرهم، حالة الفقر والحرمان، وهو الأمر الذي زاد من معاناتهم النفسية، وهذا بدوره، افضى إلى تكوين خبرة مؤلمة عن التهجير القسري. وطبقاً لنظرية العجز المتعلم، أن الأوضاع الاقتصادية المعسرة التي أخذ يعاني منها الأطفال جراء التهجير، عمدت إلى إشاعة اليأس بين صفوفهم، ومن ثم العجز عن إحداث تغيير في مجريات الأحداث المحيطة بهم، ومما زاد من يأسهم وعجزهم ، ان الأوضاع المرتبطة بالتهجير، استغرقت مدة زمنية طويلة. وبطبيعة الحال، فان ذلك أدى إلى ترسيخ الاعتقاد لدى هؤلاء الأطفال، بصعوبة التحكم في مجريات الأحداث، ولاسيما تلك التي يستطيعون التحكم بها. وقد ظهر ذلك جلياً ، بقبول البيئة الجديدة، بديلاً عن بيئتهم الاصلية، انطلاقاً من الفكرة القائلة: أن بيئة التهجير ، اصبحت أمراً واقعاً، لابد من قبوله، وأن العيش فيها، اصبح قدرهم، وليس بإمكانهم تغييره. وحقيقة الامر، أن إشاعة معتقدات من هذا القبيل؛ تسبب بمشكلات نفسية متعددة للأطفال ، نذكر منها: أن دافعية الانجاز الدراسي انخفضت بشكل ملحوظ، فقد اشارت البيانات، انها تراوحت بين درجتي الضعيف والمقبول، وهذا يؤشر حقيقة واضحة، أن التهجير ، عمد إلى إشاعة أجواءً تشتمل على النفور والكراهية من مقتضيات الانجاز الدراسي. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله، أن هؤلاء أخذوا يقللون من قيمة المستويات العليا من الانجاز الدراسي. وفي حال استمرار المعتقدات

المتعلقة بالعجز، فان المتوقع لهؤلاء الاطفال أن يتسربوا من الدراسة في اية لحظة؛ ولعل الوضع المعيشي الآخذ بالتدهور، يعد من العوامل المحرضة على تسربهم.

كذلك ، فان حالة العجز التي أخذ يعاني منها الأطفال، تسببت بخفض مستوى انتباههم، ومن ثم صعوبة تركيزهم على المنبه الهدف؛ والسبب يعزى إلى أن الأحداث المرتبطة بالتهجير ، عمدت إلى إشاعة حالة من عدم الاكتراث ، وبالتبعية ، فان شيوع هذه الحالة، ادت الى تشتيت انتباههم وعدم تركيزهم على منبهات معينة.

٢- أن الوضع الأسري، لم يتأثر بالأحداث المرتبطة بالتهجير، وانه تميز بالدفء والاهتمام، كما تشير البيانات. كذلك تبين، أن رضا الأطفال عن حياتهم ونظرتهم إلى المستقبل واتجاهاتهم نحو المجتمع، لم تتأثر هي الأخرى بالتهجير.

كما أن الأطفال، لم يظهروا سلوكاً عدوانياً بدرجة ملحوظة، في أثناء التعامل مع الأقران؛ وهذا يرجع إلى عدد من الأسباب، منها: أن الوضع الأسري لأفراد العينة، تميز بالدفء والانسجام، وهذا بدوره قلل من حدوث بعض المشكلات النفسية، ومنها على سبيل المثال، انخفاض مستوى السلوك العدواني. وهناك سبب آخر، عمد إلى تقليل الآثار النفسية المترتبة على تعرض الأطفال إلى التهجير، إلا وهو: حصول الأسر المهجرة على أراضٍ سكنية ومساعدات مالية، وهذا الإجراء ساعدها على تشييد أبنية واطئة الكلفة، وهو الأمر الذي مكنها من المحافظة على تماسكها، دون أن تتعرض إلى التشتت. وبطبيعة الحال، فان هذا الإجراء، انعكس إيجاباً على الأطفال، وهو المهم هنا، اذ قلل من بعض المشكلات النفسية التي يتوقع أن تظهر لديهم، بعد أن يستقروا في البيئة الجديدة.

والسبب الثالث، يتعلق بالإسناد الاجتماعي، فقد حظيت الاسر المهجرة بإسناد اجتماعي، كان له التأثير المباشر في مساعدتها على مواصلة مسيرتها الحياتية، وفي الوقت نفسه، اسهم في تخفيف الأعباء التي أخذت تعاني منها، بعد أن استقرت في البيئة الجديدة.

وما يعنينا هنا، أن هذا الإسناد، انعكس بصورة إيجابية على الأطفال، اذ أخذوا ينظرون إلى الناس بطريقة إيجابية، وهذا انعكس بدوره على أساليب التعامل مع الأقران. فلقد انخفض السلوك العدواني بدرجة ملحوظة، وهذا يشير

صراحة، أن عمليات الإسناد الاجتماعي هذه، كان لها الدور الفعال في تخفيف بعض المشكلات النفسية للأطفال.

كما وجد، ان الإسناد الاجتماعي الذي حظيت به الاسر المهجرة، كان له التأثير الفعال على نظرة الأطفال إلى المستقبل. فقد اخذوا ينظرون اليه بتفاؤل، وسيكون أفضل حالاً من حاضرهم، والى جانب ذلك، أصبحوا أكثر رضا عن حياتهم، وهذا أدى بالمحصلة النهائية إلى شعورهم بالأمن والطمأنينة.

إن مما يجب الإشارة اليه في هذا الصدد، ان نسبة كبيرة من الأطفال، حصلت على درجة معتدلة فيما يتعلق بوجهة التحكم بالأحداث، مما يشير، ان ثمة تذبذباً في وجهة التحكم، وأنه من الصعوبة بمكان تحديد وجهة تحكم الأطفال بالأحداث؛ ويرجع سبب التذبذب هذا إلى المواقف التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال، على أن هذه المواقف هي التي تقرر وجهة التحكم. وطبقاً لهذا الرأي، فان وجهة التحكم بالأحداث، تميل إلى أن تكون داخلية، في المواقف الطبيعية التي تخلو من الضغوط، والعكس صحيح، تميل وجهة التحكم بالأحداث إلى أن تكون خارجية، عندما تشتد الضغوط في المواقف . وبذلك فان وجهة التحكم بالأحداث لدى الاطفال المهجرين، تعتمد على طبيعة المواقف التي يتعرضون لها، وهذا التفسير له ما يسنده على صعيد نظرية العجز المتعلم.

الهوامش

(١) جيمس بول وسيلين ناهوري، الحرب والاحتلال في العراق: تقرير للمنظمات غير الحكومية، ترجمة مجد الشرع (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧)، ص١٤٨.

(٢) محمود شمال حسن، الاحتلال وإشكالية السيطرة الثقافية: الأساليب النفسية والاجتماعية التي اتبعها المحتل للسيطرة على المجتمع العراقي، شؤون عربية، العدد ١٤٤ (شتاء، ٢٠١٠)، ص١٤٠-١٤١.

(٣) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير الوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨ (بغداد: الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، ٢٠٠٩)، ص٧٦.

(٤) يونس حمادي علي، مبادئ علم الديمغرافية: دراسة السكان (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، [١٩٨٥]، ص٢٠٣.

(٥) نبيل عمران موسى الخالدي، الهجرة القسرية في العراق: دراسة اجتماعية في بعض مشكلات المهجرين في مدينة الديوانية، الآداب (بغداد)، العدد ٨٤ (٢٠٠٨)، ص٥٢٦.

(٦) بان حكمت الجاف، التهجير القسري في العراق: اسبابه وسبل معالجته، المستقبل العراقي، السنة ٤، العدد١٥(ايلول/ سبتمبر، ٢٠٠٨)، ص١٣١.

(٧) فراس البياتي، مورفولوجيا السكان: موضوعات في الديموغرافيا (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٩)، ص٩٠.

(٨) شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا ([الكويت]: جامعة الكويت، ١٩٨١)، ص٦٣١.

(٩) علي، مبادئ علم الديمغرافية: دراسة السكان، ص١٩٦.

(١٠) البياتي، مورفولوجيا السكان: موضوعات في الديموغرافية، ص٨٩.

(١١) أحمد قاسم مفتن، علاقة الانتماءات التقليدية بتحركات النازحين داخلياً: دراسة ميدانية في مدينة بغداد(جامعة بغداد، رسالة ماجستير، ٢٠١٠)، ص١٧-١٨.

(١٢) الجاف، التهجير القسري في العراق: أسبابه وسبل معالجته، ص١٣١.

(١٣) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير الوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨، ص٧٧.

(١٤) عبد الستار إبراهيم، أسس علم النفس (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٧)، ص١٨٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٨٨.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٨٨.

(١٧) رشيدة عبد الرؤوف رمضان، آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، ج١ (القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ص١٦.

(١٨) سونيا هانت وجينيفر هيلتن، نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ترجمة قيس النوري (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩)، ص١٢٩.

(١٩) كريم شريف عبد الله القرجتاني، اثر غياب الأب في اكتساب الدور المنمط جنسياً للأبناء الذكور (جامعة بغداد، رسالة ماجستير، ١٩٨٩)، ص٧٩.

(٢٠) محمود شمال حسن، ضغوط الحياة ومقتضيات العصرنة، دراسات اجتماعية، السنة ٢، العدد ٦ (صيف، ٢٠٠٠)، ص٦٩.

محمود شمال حسن، سايكولوجية الفرد في المجتمع: مدخل (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١)،ص١٤٩.

محمود شمال حسن، غياب الأب وأثره في التنميط الجنسي للأطفال الذكور، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ٥، العدد ١٧ (شتاء، ٢٠١٠)، ص٩٥.

(١٩) H.B. Biller, Father absence, divorse and personality development, in: M.E. Lamb (ed), The role of father in child development (New York: John wiley, 1981),P.494.

(٢٠) H.B. Biller,The Father and sex role development, in: Lamb, The role of father in child development, P.337.
بول موس وآخرون، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٦)، ص٢٦٩.

(٢١) J. Nash, The Father in contemporary culture and current psychological literature, child development, vol.36, no.1, 1965, P.282.

محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع: النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٦)، ص٢٨٤.

(٢٢) P.H. Mussen and etal, Essentials of child development and personality (New York: Harper and Row publishers, 1980), P.207.

(٢٣) J.McCord and etal, Some effects of parental absence on Male children, Journal of Abnormal and social psychology, vol.64,No.5,1962,P.363.

(٢٤) محمود زياد حمدان، غياب الأب وأثره في تطور شخصية الطفل، الباحث، السنة ٥، العدد٢٩-٣٠ (ايلول- كانون الأول، ١٩٨٣)، ص٨٨.

(٢٥) Nash, The father in contemporary culture and current psychological literature, P.277.

Biller, The father and sex role development, P.336.

(٢٦) رمضان، آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، ص٤٩.

(٢٧) اوكسفام انتر ناشيونال ولجنة تنسيق المنظمات غير الحكومية في العراق: الارتقاء إلى مستوى التحدي الإنساني في العراق، المستقبل العربي، السنة ٣٠، العدد ٣٤٣ (ايلول/سبتمبر، ٢٠٠٧)، ص١٠٥.

(٢٨) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير الوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨ ، ص٨٢.

(٢٩) فيصل محمد عليوي التميمي، التهجير القسري وآثاره الاجتماعية على الأسر المهاجرة: دراسة ميدانية في محافظة صلاح الدين(جامعة بغداد، رسالة ماجستير، ٢٠٠٨)، ص١٤٦.

(٣٠) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير اللوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨، ص٨٥.

(٣١) التميمي، التهجير القسري وآثاره الاجتماعية على الأسر المهاجرة: دراسة ميدانية في محافظة صلاح الدين، ص١٥٠.

وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير الوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨، ص٨٣.

(٣٢) مكتب اليونسيف الاقليمي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، مساعدة الطفل الذي يعاني من الصدمة النفسية (عمان: مكتب اليونسيف الاقليمي، ١٩٩٥)، ص٢٢.

(٣٣) يحيى فايز الحداد، الحروب وآثارها النفسية على الأطفال، عالم الفكر، المجلد ٣٦، العدد ٢ (اكتوبر- ديسمبر، ٢٠٠٧)، ص٢٧١.

(٣٤) أحمد عبد الخالق وآخرون، الاضطرابات التالية للأحداث الصدمية (الكويت: مكتب الإنماء الاجتماعي، ٢٠٠٠)، ص٣٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٣٦) ميسون الوحيدي، الأسرة الفلسطينية والموروث الثقافي الداعم وقت الأزمات، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ١، العدد ٢(صيف، ٢٠٠١)، ص١٩٦.

(٣٧) حسن، وضعيات السلوك البشري أثناء وقوع الكارثة وما بعدها، ص٣٧.

(٣٨)حذام خليل حميد، العنف المجتمعي في رسوم تلاميذ المرحلة الابتدائية في محافظة ديالى، الكتاب السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة (جامعة ديالى)، المجلد ٥ (٢٠١٠)، ص٢٧٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٢٧٣.

(٤٠) هاني حوراني، الفلسطيني الصغير: دراسة في رسوم أطفال النازحين الفلسطينيين، شؤون فلسطينية، العدد٦(١٩٧٢)، ص١٦٨.

(٤١) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٤٢) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٤٤) A.E.Siligman and S.F.Maier, Alleviation of Learned helplessness in the dog, Journal of Abnormal psychology, vol.73, No.3, 1968,P.260-261.

(٤٥) Nolen-Hoeksman, .
Abnormal psychology, 2nd ed (Boston: Mc Graw-Hill, 2001), P.269.

(٤٦) المصدر نفسه، ص٢٦٩.

(٤٧) عبد الستار إبراهيم، علم النفس الاكلينيكي: مناهج التشخيص والعلاج النفسي (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٨)، ص٢٤.

(٤٨) D.S. Hiroto and A.E Seligman generality of learned Helplessness in man, Journal of personality and social psychology, Vol.31, No.2, 1975
.

(٤٩) R .J. Sternberg, pathways to psychology (Fort worth: Harcourt brace college publishers, 1997) , P.179.

(٥٠) D.C.Klien and etal, Learned Helplessness, depression, and attribution of failure, Journal of personality and social psychology, vol.33, No.5, 1976, P.511-512.

(٥١) Atkinson and etal, introduction to psychology, 10th ed (sandiego: Harcourt brace Jovanovich publishers, 1990), P.613.

(٥٢) A.Baum and etal, social psychology (New York: Random House, 1985), P.473.

(٥٣) R.S. Feldman, Essentials of under standing psychology, 4th ed (Boston: Mc Graw –Hill, 2000), P.343.

(٥٤) عبد الستار إبراهيم ، الاكتئاب اضطراب العصر الحديث: فهمه وأساليب علاجه (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٨)، ص١٢٣.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٥٦) L.A.Pervin, Personality: Theory and research, 4th ed (New York: John wiley, 1984), P.35-36.

(٥٧) جون بولبي، سيكولوجية الانفصال: دراسة نقدية لأثر الفراق على الاطفال، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩١)، ص١٢٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٥٩) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة، العراق: التقرير الوطني لحال التنمية البشرية، ٢٠٠٨، ص٨٥.

(٦٠) أحمد عبد الخالق وآخرون، الاضطرابات التالية للأحداث الصدمية، ص٢٢.

اسماعيل ابراهيم علي، اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية وعلاقتها بالعنف المدرسي، الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والأمومة، الملجد ٦ (٢٠١١)، ص٥١٥.

مركز البحوث والدراسات الكويتية، اثر الغزو العراقي على أطفال الكويت (تجارب مؤلمة)، في جورية طلعت فواز، صدمة الحرب: آثارها النفسية والتربوية في الأطفال (تجربة حرب تموز إنموذجاً) (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١١)، ص٥٧.

محمد بن عمار ومصطفى النصراوي، الآثار النفسية والصحية والاجتماعية لحرب الخليج على أطفال المنطقة وسبل علاجها، في: فواز، صدمة الحرب: آثارها النفسية والتربوية في الأطفال (تجربة حرب تموز إنموذجاً)، ص٤٨.

(٦١) سامي مهدي العزاوي، نساء وأطفال: قضايا الحاضر والمستقبل (بغداد: مطبعة القبس، ٢٠٠٧)، ص٢٢١.

(٦٢) حسن، ضغوط الحياة ومقتضيات العصرنة، ص٧٧-٧٨.

(٦٣) J.cohen, statistical power analysis for the Behavioral sciences, rev. ed.(New York: Academic press, 1977), P.258.

(٦٤) K. D. Harris, crime and the environment (Illinois: charlesc Thomas, publishers, 1980), P.34.

(٦٥) فاضل عبد اللطيف المالح، الكثافة والاكتظاظ في المناطق السكنية (جامعة بغداد، رسالة ماجستير، ١٩٩٩)، ص١١٠.

(٦٦) المصدر نفسه، ص١١٠.